بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد:

۞ فهذا بحث يتعلق بالشيطان وذريته - أعاذنا الله منهم - أَعَدَّهُ أَخِي في اللَّه/ إسلام بن محمد الغرباوي - حفظه الله -.

۞ وقد راعى فيه سلامة المادة الحديثية، فحكم على كل حديث وأثر، بما يستحقه صحة وضعفًا، وأورد كثيرًا جدًّا مما يتعلق بالحروز من الشياطين، وعموم ما يتعلق بهم.

۞ وقد راجعت معه ما ذكره - حفظه الله - فألفيته قد وفق في الجمع الحديثي، والحكم على الأحاديث والآثار، فأسأل الله له مزيدًا من السداد والتوفيق ومواصلة طلب العلم الشرعي، وأسأل الله أن ينفع به وبكتابه المسلمين.

وَصَلِّ اللهم على نبينا محمد ﷺ.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد:

فهذا كتاب يجمع بين دفتيه ما ورد في الشيطان الرجيم من الكتاب العزيز وما صح عندي من أحاديث النبي ﷺ وأقوال أهل العلم.

وهذا الكتاب في بيان ما ورد في الشيطان الرجيم، وهو إبليس وذريته، وليس في بيان ما ورد في عموم الجن والشياطين، إذ إبليس وذريته من الجن، والجن فيهم المؤمن والكافر، لذلك لم أتعرض لكثير من المباحث التي تجمع بين إبليس وذريته عموم الجن، كمباحث المس والصرع والسحر ونحوها.

فهذا الكتاب يهتم بالدرجة الأولى بيان من هو إبليس وذريته، وبيان الطرق التي يسلكها لإضلال الناس، وكيفية الوقاية منها.

منهجي في التخريج:

إن كان الحديث في «الصحيحين» أو أحدهما اقتصرت على العزو إليهما أو إلى أحدهما، إلا أن يكون في المتن الذي أذكره زيادة ليست في الصحيح فأذكر من خرجها وأحكم على سندها.

إن كان الحديث خارج الصحيحين، فأقوم بتخريجه تخريجًا مختصرًا في الغالب

والحكم عليه، إلا أن يحتاج الأمر إلى توسع في التخريج ودراسة طرق الحديث.

تنبيه مهم: هناك جملة من الأحاديث صححها بعض أهل العلم والفضل من المتأخرين والمعاصرين، لم أعتمدها؛ لضعف أسانيدها أو لعلة فيها.

وفي الختام أسأل الله العلي العظيم أن يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين، وأسأل الله أن يجزي شيخنا أبا عبد الله مصطفى بن العدوي - حفظه الله ورعاه - خير الجزاء على ما بذل من جهد ووقت في مراجعة أحاديث هذا الكتاب، وأسأل الله أن يجزي خيرًا كل من ساهم في نشره، وكل من ساعدني في مراجعته، وأسأل الله أن ينفعني به والمسلمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وَسَلِّمُ.

كتبه

إسلام بن محمد الغرباوي

مصر - دمياط - عزبة البرج

نزيل منية سمنود - الدقهلية - مصر

باب: الشيطان لغة

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشيطان في لغة العرب مشتق من (شَطَن) إذا بعُدَ؛ فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، ولهذا يسمون كل من تمرد من جنّي، وإنسّي، وحيوان شيطانًا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والشيطان في كلام العرب: كل متمردٍ من الجن والإنس والدواب وكل شيء، وإنما سُمي المتمرد من كل شيءٍ شيطانًا؛ لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ سائر جنسه وأفعاله، وبعده من الخير»[٢].

فصل: إبليس لغة

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإبليس (إفعيل) من الإبلاس، وهو اليأس من الخير، والندم والحزن»[٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مشتق من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة الله تعالى»[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/١٧) باختصار.

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» (١/٧٦) باختصار.

(٣) «جامع البيان» (١/٢٦٤).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١/٢٩٥).

باب: أصل خلقته، وبيان أنه من الجن

❁ إبليس وذريته من الجن.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف: ٥٠].

❁ خلقه الله ﷻ من نار:

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال تعالى عنه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦].

قال أبو الوفا بن عقيل في «الفنون»: «والمراد أن أصل خلقه من نار، ولكنه ليس في نفسه نارًا»[١].

مسألة: هل كان إبليس من الملائكة؟

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والغرض أن الله تعالى لمَّا أمر الملائكة بالسجود لآدم، دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم، إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم؛ فلهذا دخل في الخطاب لهم وذُمَّ في مخالفة الأمر»[٢].

(١) «لقط المرجان» (٣٣، ٣٤).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/٧١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : « فإن قيل: كيف استُثْنِيَ وليس من الجنس؟

فالجواب: أنه أُمِرَ بالسجود معهم، فاستُثْنِيَ من أنه لم يسجد، وهذا كما تقول: أمرت عبدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبدي، هذا قول الزجاج»(١).

قال الزمخشري: «واستُثْنِيَ إبليس من الملائكة لأنه كان بينهم مأمورًا معهم بالسجود، فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب، كقولك رأيتهم إلا هندًا»(٢).

وقال أيضًا: «فإن قلت: إبليس كان جنيًّا بدليل قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة؟

قلت: كان في صحبتهم، وكان يعبد الله تعالى عبادتهم، فلما أُمِروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامةً له، كأن الجنِّي الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس عليه أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عُنِّفَ، وقيل قد قام فلان وفلان، فمن أنت حتى تترفع عن القيام.

فإن قلت: فكيف صح استثناؤه - وهو جني - عن الملائكة؟

قلت: عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم، وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك، كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال»(٣).

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ نقلًا عن ابن القيم -: «الصواب التفصيل في هذه المسألة، وأن القولين في الحقيقة قول واحد، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته، وليس منهم بمادته وأصله.

كان أصله من نار، وأصل الملائكة من نور، فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتواردا على محل واحد، وكذلك قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية»(٤).

(١) «زاد المسير» (٥٢/١).

(٢) «الكشاف» (٣٩٠/٢).

(٣) «الكشاف» (٥٥٥/٢).

(٤) «محاسن التأويل» (١٠٤/٢).

مسألة: هل إبليس أبو الجن؟

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قيل: أليس أبو الجن هو إبليس؛ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه هو.

الثاني: أن الجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فبينهما إذًا فرق»(١).

عن الحسن قال: «ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس»(٢).

وعن ابن زيد قال: «إبليس أبو الجن، كما آدم أبو الإنس»(٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «قال ابن زيد، والحسن، وقتادة أيضًا: إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن ملكًا»(٤).

وقد ذهب إلى أن إبليس أبو الجن الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: حيث قال في - تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحِجر: ٢٧]، يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾، وقد بينّا فيما مضى معنى الجان، ولِمَ قيل له جان، وعنى بالجان هاهنا: إبليس أبا الجن»(٥).

وذهب إلى ذلك أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «وجميع الجن ولد إبليس»(٦).

---

(١) «زاد المسير» (٢٩٢/٤) باختصار يسير.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن جرير (٦٩٦).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن جرير (٧٠١).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٩٤/١).

(٥) «جامع البيان» (٥١٣/٧).

(٦) «مجموع الفتاوى» (٧/١٥).

وكذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ حيث قال - في معرض الكلام عن الحكمة في خلق إبليس وجنوده -:

«ومنها أنه سبحانه جعله عبرةً لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرةً لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب ...»[١].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : «وقد اختلف في الجن والشياطين: هل هم جنس واحدٌ، أو لا؟ فقالت طائفة: الجن كلهم ولد إبليس، كما أن الإنس كلهم ولد آدم - روي هذا عن ابن عباس من وجه فيه نظر - وأنهم لا يدخلون الجنة.

ورُوي أيضًا عن الحسن، وأنه قال: «مؤمنهم ولي لله له الثواب، ومشركهم شيطان له العقاب». وقالت طائفة: «بل الشياطين ولد إبليس، وهم كفار، ولا يموتون إلا مع إبليس، والجن ولد الجان، وليسوا شياطين، وهم يموتون، وفيهم المؤمن والكافر»، روي هذا عن ابن عباس بإسناد فيه نظر أيضًا»[٢].



(١) «شفاء العليل» (١٨٤/٢).
(٢) فتح الباري له (٤٦١/٤ - ٤٦٢).

فصل: الحكم الإلهية في خلق إبليس

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قيل: فإبليس شر محض، والكفر والشرك كذلك، وقد دخلوا في الوجود، فأي خير في إبليس وفي وجود الكفر؛ قيل: في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، كما سننبه على بعضه، فالله سبحانه لم يخلقه عبثًا، ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة، وحجة قاهرة، وآية ظاهرة، ونعمة سابغة!

وهو وإن كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان، ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولولا خلق الشياطين، والهوى، والنفس الأمارة، لما حصلت عبودية الصبر، ومجاهدة النفس والشيطان، ومخالفتهما، وترك ما يهواه العبد ويحبه لله، فإن لهذه العبودية شأنًا ليس لغيرها»[٢].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولهم: أي حكمة في خلق إبليس وجنوده؟

ففي ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله:

١- فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته، ومراغمته في الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجأ إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه.

٢- ومنها: خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، ولا ريب أن الملائكة لمَّا شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى،

---

(١) «شفاء العليل» (٢/٧٤).

(٢) المصدر السابق (٢/١٦١).

وخضوع آخر، وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه، فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

٣- ومنها: أنه سبحانه جعله عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوى الجن والإنس بالذنب، وجعل هذا الأب عبرةً لمن أصر وأقام على ذنبه، وهذا الأب عبرةً لمن تاب ورجع إلى ربه، فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة!

٤- ومنها: أنها محك امتحن الله به خلقه ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض وفيها السهل والحزن، والطيب والخبيث، فلابد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم.

٥- ومنها: أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه، فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث.

٦- ومنها: أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تُعرَف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يُعَرف قدر الغنى، كما تقدم بيانه قريباً.

٧- ومنها: أنه سبحانه يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم - وهو في الجنة قبل أن يخرج منها - وبين شكره بعد أن ابتُليَ بعدوه ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله.

٨- ومنها: أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد، وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما

سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية وأحبها إلى الرب سبحانه؛ فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصى حكمتها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله.

٩- ومنها: أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كما تقدم من ظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته.

١٠- ومنها: أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة، وقدرة قاهرة.

١١- ومنها: أن من أسمائه الخافض الرافع المعز المذل، الحكم العدل، والمنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها إحكامها كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولابد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

١٢- ومنها: أنه سبحانه الملك التام الملك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه، وتنوعه بالثواب والعقاب، والإكرام والإهانة، والعدل والفضل، والإعزاز والإذلال، فلا بد من وجود من يتعلق به أحد النوعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

١٣- ومنها: أن من أسمائه الحكيم، والحكمة من صفاته سبحانه، وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواه، فاقتضت خلق المتضادات، وتخصيص كل واحد منها لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك، فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

١٤-ومنها: أن حمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله، ومنعه وخفضه وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعه وإكرامه، فلله

الحمد التام الكامل على هذا وهذا، هو يحمد نفسه على ذلك كله، ويحمده عليه ملائكته، ورسله، وأولياؤه، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كما له عليه الحمد التام؛ فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته.

١٥- ومنها: أنه سبحانه يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره وأناته وسعة رحمته وجوده.

فاقتضى ذلك خلق من يشرك به ويضاده في حكمه ويجتهد في مخالفته ويسعى في مساخطه، بل يشبهه سبحانه، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات، ويرزقه ويعاقبه، ويمكن له من أسباب ما يلتذ به من أصناف النعم، ويجيب دعاءه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءته، فلله كم في ذلك من حكمة وحمد»[1].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فإن يكن قد حصل بِعَدِو الله إبليس من الشرور والمعاصي ما حصل، فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له: من جهاد في سبيله، ومخالفة هوى النفس وشهوتها له، ويحتمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته»[2].



(١) المصدر السابق (٢/١٨٤: ١٨٧) مع شيء من الاختصار في بعض المواطن.

(٢) المصدر السابق (٢/١٨٩ - ١٩٠).

باب: بيان سبب إبلاسه ولعنه وطرده، وبيان عداوته للأبوين

۞ أمر الله ﷻ للملائكة بالسجود لآدم، وعصيان إبليس.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته؛ حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وقد دل على ذلك أحاديث أيضًا كثيرة منها حديث الشفاعة المتقدم، وحديث موسى عليه السلام: «رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فلما اجتمع به، قال أنت آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته[1]»[2].

وقال رحمه الله: «وقال بعض الناس كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقد كان هذا مشروعًا في الأمم الماضية، ولكنه نسخ في ملتنا»[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/٦٩).

(٣) المصدر السابق (١/٧١).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان سجود الملائكة لآدم تكرمةً لآدم وطاعةً لله لا عبادةً لآدم»(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو منطو عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم؛ ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: ٢٨-٣١].

قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا﴾، قال ابن عطية: «وهذه اللفظة تقوي أن سجود الملائكة إنما كان على المعهود عندنا»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾: «أي: خانه أصله؛ فإنه خلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور، فعند الحاجة نضح كل وعاء بما

---

(١) «جامع البيان» (١/٢٦٦).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٧٧).

(٣) «المحرر الوجيز» (١٠/١٢٧).

فيه، وخانه الطبع عند الحاجة، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك، فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة»[١].

قال الزمخشري - في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ -: «كلام مستأنف جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلًا قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: ١١٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله ﴿أَبَىٰ﴾ -: «امتنع واستكبر»[٣].

وقال تعالى - في شأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٦٩-٧٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى؟ يعني في شأن آدم - عليه الصلاة والسلام - وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه»[٤].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ -: «فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسًا، كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه عَزَّ وَجَلَّ فيه وادَّعى أنه خير من آدم؛ فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين، والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى، وكفر بذلك، فأبعده الله عَزَّ وَجَلَّ وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه،

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧٩/٣) باختصار يسير.
(٢) «الكشاف» (٤٨٧/٢).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١٤٦/٣).
(٤) المصدر السابق (٤٠/٤).

وحضرة قدسه، وسماه إبليس إعلامًا له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذمومًا مدحورًا إلى الأرض»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «قول الله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، فالرب تعالى كان يعلم ما في قلب إبليس من الكفر والكبر والحسد ما لا يعلمه الملائكة، فلما أمرهم بالسجود ظهر ما في قلوب الملائكة من الطاعة والمحبة والخشية والانقياد فبادروا إلى الامتثال، وظهر ما في قلب عدوه من الكبر والغش والحسد فأبى واستكبر وكان من الكافرين»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : « ثم إنه سبحانه أظهر فضل الخليفة عليهم بما خصه به من العلم الذي لم تعلمه الملائكة، وأمرهم بالسجود له تكريمًا له وتعظيمًا له وإظهارًا لفضله، وفي ضمن ذلك من الحكم ما لا يعلمه إلا الله: منها استخراجه تعالى ما كان كامنًا في نفس عدوه إبليس من الكبر والمعصية الذي ظهر عند أمره بالسجود فاستحق اللعنة والطرد والإبعاد على ما كان كامنًا في نفسه عند إظهاره، والله تعالى كان يعلم منه ولم يكن ليعاقبه ويلعنه على علمه فيه بل على وقوع معلومه، فكان أمره بالسجود له مع الملائكة مظهرًا للخبث والكفر الذي كان كامنًا فيه، ولم تكن الملائكة تعلمه فأظهر لهم سبحانه ما كان يعلمه وكان خافيًا عنهم من أمره، فكان في الأمر بالسجود له تكريمًا لخليفته الذي أخبرهم بجعله في الأرض وجبرًا له وتأديبًا للملائكة، وإظهارًا لما كان مستخفيًا في نفس إبليس، وكان ذلك سببًا لتمييز الخبيث من الطيب، وهذا من بعض حكمه تعالى في إسجادهم لآدم»[٣].

❁ توبيخ الله ﷻ لإبليس؛ لامتناعه من السجود، وقياس إبليس الفاسد

قال تعالى في – شأن إبليس– : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

(١) المصدر السابق (٤١/٤).

(٢) «بدائع التفسير»الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية (٣٠٢/١)، نقلاً عن الفوائد (١٦٠).

(٣) المصدر السابق (٣٠٣/١ – ٣٠٤) باختصار نقلاً عن «بدائع الفوائد» (١٣٧/٤: ١٣٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «واختار[١] أن منعك مضمن فعل آخر تقديره ما أحرجك وألزمك واضطرك أن لا تسجد إذا أمرتك ونحو هذا. وهذا القول قوي حسن والله أعلم، وقول إبليس لعنه الله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، من العذر الذي هو أكبر من الذنب كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول يعني – لعنه الله – وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟، ثم بيَّن أنه خير منه بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين فنظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص قوله تعالى ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾، فشذ من بين الملائكة لترك السجود فلهذا أبلس من الرحمة أي أويس من الرحمة، فأخطأ – قبحه الله – في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة ولهذا خان إبليس عنصره ونفع آدم عنصره بالرجوع، والإنابة والإستكانة والإنقياد والإستسلام لأمر الله والإعتراف وطلب التوبة والمغفرة»[٢].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ : «فأخطأ قياسه، وذهب عليه أن الروح الذي نفخ آدم ليس من طين»[٣].

قال الزمخشري: «فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه؟

قلت: للتوبيخ، ولإظهارمعاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه»[٤].

قال أبو السعود –في قوله تعالى ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ –: «وفي سورة الحجر ﴿يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ

(١) أي: ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ .
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١٧٧/٢).
(٣) «المحرر الوجيز» (١٩/٧).
(٤) «الكشاف» (٦٨/٢).

أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، وفي سورة ص ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾، واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدمج في معصية واحدة ثلاث معاصٍ، مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والإباء عن الإنتظام في سلك أولئك المقربين، والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ، وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها، لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر، وإشعارًا بأن كل واحدة منها كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه»[1].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذا القياس من أفسد الأقيسة فإنه باطل من عدة أوجه:

منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص فإنه قياس باطل؛ لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعًا لها، فأما قياس يعارضها ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة.

ومنها: أن قوله ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾، بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث؛ فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه، وتكبره، والقول على الله بلا علم، وأي نقص أعظم من هذا؟

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب؛ فإن مادة الطين فيها الخشوع، والسكون، والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار، وأنواع النبات على اختلاف أجناسه، وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة، والطيش، والإحراق»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قول الله تعالى ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البَقَرَة: ٣٤] في ذكر مناظرة إبليس عدو الله في شأن آدم وإبائه من السجود له وبيان فسادها، وقد كرر الله تعالى ذكرها في كتابه، وأخبر منها أن امتناع إبليس من السجود كان كبرًا منه وكفرًا ومجرد إباء، وإنما ذكر تلك الشبهة تعنتًا، وإلا فسبب معصيته الاستكبار والإباء والكفر، وإلا فليس في أمره بالسجود

(١) «إرشاد العقل السليم» (٣/٢١٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٤٧) ط. الرسالة.

لآدم ما يناقض الحكمة بوجه، وأما شبهته الداحضة، وهي أن أصله وعنصره النار، وأصل آدم وعنصره التراب، ورتب على ذلك أنه خير منه»[١].

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ وجوه بطلان أن النار خير من الطين فعد خمسة عشر وجهًا.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا وأمثاله مما يدلك على ضعف مناظرة اللعين، وفساد نظره وإدراكه، وأن الحكمة كانت توجب عليه خضوعه لآدم فعارض حكمة الله وأمره برأيه الباطل، و نظره الفاسد فقياسه باطل نصًا وعقلًا، وكل من عارض نصوص الأنبياء بقياسه ورأيه فهو من خلفائه وأتباعه، فنعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعصمة من هذا البلاء الذي ما رُميَ العبد بشر منه؛ ولأن يلقى الله بذنوب الخلائق كلها ما خلا الإشراك به، أسلم له من أن يلقى الله وقد عارض نصوص أنبيائه برأيه ورأي بني جنسه، وهل طرد الله إبليس ولعنه وأحل عليه سخطه وغضبه إلا حيث عارض النص بالرأي والقياس ثم قدمه عليه، والله يعلم أن شبه عدو الله مع كونها داحضة باطلة أقوى من كثير من شبه المعارضين لنصوص الأنبياء بأرائهم وعقولهم، فالعالم يتدبر سر تكريم الله لهذه القصة مرة بعد مرة، وليحذر أن يكون له نصيب من هذا الرأي والقياس - وهو لا يشعر - فقد أقسم عدو الله أنه ليغوين بني آدم أجمعين إلا المخلصين منهم»[٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص: ٧٥، ٧٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، في قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ -: «فهذا كلام ورد في معرض التوبيخ والتبكيت للعين على إمتناعه من السجود، ولم يستحق هذا التبكيت والتوبيخ حيث كان السجود لمن يعقل ولكن للمعصية والتكبر على ما لم يخلقه،

(١) «بدائع التفسير» (١/٣٠٤).

(٢) «بدائع التفسير» (١/٣٠٨).

إذ لا ينبغي التكبر لمخلوق على مثله، إنما التكبر للخالق وحده، فكأنه يقول سبحانه: لم عصيتني وتكبرت على ما لم تخلقه، وخلقته أنا، وشرفته وأمرتك بالسجود له»[(١)].

۞ إهباطه وإخراجه ورجمه ولعنه

قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى مخاطبًا لإبليس بأمر قدري كوني ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾، أي: بسبب عصيانك لأمري وخروجك عن طاعتي، فما يكون لك أن تتكبر فيها، قال كثير من المفسرين: الضمير عائد إلى الجنة، ويحتمل أن يكون عائدًا إلى المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، أي: الذليلين الحقيرين معاملةً له بنقيض قصده ومكافأةً لمراده بضده»[(٢)].

قال الزمخشري - في قوله تعالى ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ -: «من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين»[(٣)].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَيَّنَ تعالى في هذه الآية الكريمة أنه عامل إبليس اللعين بنقيض قصده حيث كان قصده التعاظم والتكبر فأخرجه الله صاغرًا حقيرًا ذليلًا متصفًا بنقيض ما كان يحاوله من العلو والعظمة، وذلك في قوله ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، والصغار: أشد الذل والهوان»[(٤)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لمَّا جرى من إبليس ما جرى انحط من مرتبته العالية إلى أسفل

(١) «بدائع التفسير» (٤/٤٧) نقلاً عن «بدائع الفوائد» (١/١٣٢).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٧٨).
(٣) «الكشاف» (٢/٦٩).
(٤) «أضواء البيان» (٢/٢٦٣).

السافلين، فقال الله له: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنة ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ لأنها دار الطيبين الطاهرين؛ فلا تليق بأخبث خلق الله وشرهم.

﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ أي: المهانين الأذلين، جزاه الله على كبره وعجبه بالإهانة والذل»(١).

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحِجر: ٣٤، ٣٥].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بيَّنَ تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أمر إبليس بالخروج من الجنة مؤكدًا أنه رجيم، وبيَّنَ في الأعراف أنه خروج هبوط، وأنه يخرج متصفًا بالصغار والذل والهوان»(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٧، ٧٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من السماء والمحل الكريم»(٣).

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكد تعالى عليه اللعنة والطرد والإبعاد والنفي عن محل الملأ الأعلى بقوله: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾»(٤).

قال أبو السعود: «﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة»(٥).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٤٧).
(٢) «أضواء البيان» (٣/١٣٠).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٦٦٣).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٧٩).
(٥) إرشاد العقل السليم (٣/٢١٩).

۞ سؤاله الله ﷻ النظرة

قال الله ﷻ حاكيًا عن إبليس: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أجابه تعالى إلى ما سأل لما له من ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع»[(١)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه أيضًا جهلة من جهلاته الخبيثة سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه، وذلك أنه سأل النظرة إلى قيام الساعة، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق، ولو أعطى ما سأل من النظرة كان قد أعطى الخلود، وبقاء لا فناء معه، وذلك أنه لا موت بعد البعث، فقال جل ثناؤه ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾ [الحجر:٣٧، ٣٨]، وذلك إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء؛ لأنه لا شيء يبقى، فلا يبقى غير ربنا الحي الذي لا يموت»[(٢)].

قال الزمخشري: «فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم؟ قلت: لما في ذلك من إبتلاء العباد، وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف، وأنواع الملاذ والملاهي، وما رُكِّبَ في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده»[(٣)].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «لم يبين هنا في سورة الأعراف الغاية التي أنظره إليها، وقد ذكرها في «الحجر»، و«ص» مبينًا أن غاية ذلك الإنظار هو يوم الوقت المعلوم لقوله: في سورة «الحجر»، و«ص» ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾ فقد طلب الشيطان الإنظار إلى يوم البعث، وقد أعطاه الله الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٧٨/٢).

(٢) «جامع البيان» (٤٤٢/٥).

(٣) «الكشاف» (٦٩/٢).

وأكثر العلماء يقولون: المراد به وقت النفخة الأولى، والعلم عند الله تعالى»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : «فلما أعلن عدو الله بعداوة الله، وعداوة آدم وذريته، سأل الله النظرة والإمهال إلى يوم البعث؛ ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بني آدم»[(٢)].

وقال تعالى حاكيًا عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر ٣٦ - ٣٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «وأنه لمَّا تحقق الغضب الذي لا مرد له سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة إلى يوم القيامة (وهو يوم البعث) وأنه أجيب إلى ذلك إستدراجًا له وإمهالًا، فلما تحقق النظرة قبحه الله»[(٣)].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ، في قوله تعالى ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ -: يعني المعلوم بموت الخلائق فيه، فأراد أن يذيقه ألم الموت قبل أن يذيقه العذاب الدائم في جهنم»[(٤)].



---

(١) «أضواء البيان» (٢/٢٦٤).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٤٧).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٤٧٦).
(٤) «زاد المسير» (٤/٢٩٣).

فصل: الحكمة في إبقاء إبليس إلى آخر الدهر

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : «قوله: أي حكمة في إبقاء إبليس إلى آخر الدهر وإماتة الرسل فكم لله في ذلك من حكمة تضيق بها الأوهام:

١ - فمنها: أنه سبحانه لمَّا جعله محكًا ومحنة يخرج بها الطيب من الخبيث، ووليه من عدوه، اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم فكما اقتضت حكمته امتحان أبي البشر اقتضت امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، وينحاز إليه من وافقه ووالاه.

٢ - ومنها: أنه لما سبق علمه، وحكمته أنه لا نصيب له في الآخرة، وقد سبق له طاعة وعبادة جزاه بها في الدنيا بأن أعطاه البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم أحدًا حسنة عملها، فأما المؤمن فيجز به بحسناته في الدنيا وفي الآخرة، وأما الكافر فيجز به بحسنات ما عمل في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له شيء، كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي ﷺ.

٣ - ومنها: أن إبقاءه لم يكن كرامة في حقه، فإنه لو مات كان خيرًا له وأخف لعذابه وأقل لشره، ولكن لما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية، ومخاصمة من ينبغي التسليم لحكمه، والقدح في حكمته، والخلف والعمل على إقتطاع عباده وصدهم عن عبوديته كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه فأُبقيَ في الدنيا وأملى ليزداد هذا إثمًا على إثم ذلك الذنب، فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر، ولمَّا كان مادة كل شر وعنه ينشأ، جوزي في النار مثل فعله، فكل عذاب ينزل بأهل النار يبدأ به ثم يسري منه إلى أتباعه عدلًا ظاهرًا أو حكمة بالغة.

٤ - ومنها: أنه قال في مخاصمته لربه ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢]، وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمكانته في داره، ولا يصلح إلا بما يصلح له الشوك والروث إبقاء له، وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك فاجلس في انتظارهم، وكلما مر بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لي لما ملكتك منه، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت ولي المجرمين الذين غنوا عن موالاتي وابتغاء مرضاتي»[١].

❁ مقالات إبليس بعد إجابة الله ﷻ سؤاله

قال الله تعالى حاكيًا عنه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، واستوثق إبليس بذلك، أخذ في المعاندة والتمرد فقال ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. أي: طريق الحق وسبيل النجاة، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي»[٢].

عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل، فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك كان حقًا على**

(١) «شفاء العليل» (٢/١٩٢، ١٩٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٧٨) باختصار يسير.

الله ﷻ أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة»(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم، وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٢١﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١]»(٢).

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: «ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق، والباطل فأصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل»(٣).

«فرحم الله امرءًا كذَّبَ ظن عدو الله في نفسه، وخيب فيها أمله وأمنيته، ولم يمكن من طمع طمع فيها عدوه، واستغشه ولم يستنصحه، فإن الله تعالى ذكره إنما نبه بهذه الآيات عباده على قدم عداوة وعدوهم إبليس لهم، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم، وبغيه عليه وعليهم»(٤).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾، الإغواء إيقاع الغي في القلب، أي: فبما أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار، وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل بل هو كفر عناد وإستكبار.

قيل: معني الكلام القسم، أي: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم على صراطك، دليل هذا القول قوله في «ص» ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، فكأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٤٨٣/٣)، والنسائي في «المجتبى» (٢١/٦)، وفي «الكبرى» (٤٣٤٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣/٥)، والبخاري في «التاريخ» (١٨٧/٤، ١٨٨)، والطبراني (٦٥٥٨).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١٧٨/٢).

(٣) «جامع البيان» (٤٤٧/٥).

(٤) «جامع البيان» (٤٤٩/٥).

لما فيه من التسليط على العباد، فأقسم به إعظامًا لقدره عنده.

والإغواء: الإهلاك.

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾. أي: هلاكًا، وقيل: فبما أضللتني، والإغواء: الإضلال والإبعاد»[١].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾: «أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم»[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في قولهم ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾.

«فما من طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك»[٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾: «قلت: السبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه، وتارة على شماله، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأي سبيل من هذه وجد الشيطان عليها رصدًا له، فإن سلكها في طاعة وجده عليها يثبطه عنها ويقطعه، أو يعوقه ويبطئه، وإن سلكها لمعصية وجده عليها حاملًا له، وخادمًا، ومعينًا، وممنيًا، ولو اتفق له الهبوط إلى أسفل لأتاه من هناك ومما يشهد لصحة أقوال السلف قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]»[٤].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، هذا الذي ذكر إبليس أنه سيوقع بني آدم فيه قاله ظنًا منه أنهم سيطيعونه فيما يدعوهم إليه حتى يهلكهم، وقد بين تعالى في سورة «سبأ» أن ظنه هذا صدق فيهم بقوله ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾»[٥].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/١٧٤) باختصار يسير.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٤٧).

(٣) «بدائع التفسير» (٢/١٩٦).

(٤) «بدائع التفسير» (٢/١٩٨) نقلاً عن إغاثة اللهفان.

(٥) «أضواء البيان» (٢/٢٦٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]»[١].

وقال تعالى في شأنه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «يقول تعالى مخبرًا عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب ﴿بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾، قال بعضهم أقسم بإغواء الله له «قلت»: ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾. أي: أحبب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأأزهم إليها، وأزعجهم إزعاجًا»[٢].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾، قال ابن كثير: «أي الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك إليهم»[٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾: «لعل قائلًا يقول: قد أخبر الله عن صفة آدم وحواء عليهما السلام بقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، وعن جملة من أصحاب نبيه بقوله ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، فالجواب ما ذكر، وهو أنه ليس له سلطان على قلوبهم، ولا موضع إيمانهم، ولا يلقيهم في ذنب يؤول إلى عدم القبول بل تزيله التوبة وتمحوه الأوبة»[٤].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : «المخلصون: الذين أخلصوا دينهم لله عن كل شائبة تناقض الإخلاص»[٥]، «وفي المراد بالسلطان قولان:

---

(١) «عدة الصابرين» (١٨٩).
(٢) (٣) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٦/٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٩/١٠).
(٥) «زاد المسير» (٢٩٣/٤).

أحدهما: أنه الحجة قاله ابن جرير فيكون المعنى: ليس لك حجة في إغوائهم.

الثاني: أنه القهر والغلبة، إنما له أن يغر ويزين»(١).

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعباد الله المخلصون هم المرادون بالاستثناء في قوله في بني إسرائيل ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقوله في «سبأ»: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾، وهم الذين احترز منهم بقوله ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾، وَبَيَّنَ تعالى في مواضع أخر أن الشيطان لا سلطان له على أولئك المخلصين كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾، الآية، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾»(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، الذين أخلصتهم واجتبيتهم لإخلاصهم، وإيمانهم، وتوكلهم»(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى مخبرًا عن إبليس ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾: «فإنه لا سبيل لي إلى إغوائهم ولا طريق لي عليهم، فقرر الله ﷻ ذلك أتم التقرير، وأخبر أن الإخلاص صراط عليه مستقيم، فلا سلطان لك على عبادي الذين هم على هذا الصراط لأنه صراط عليَّ، ولا سبيل لإبليس إلى هذا الصراط، ولا الحوم حول ساحته؛ فإنه محروس محفوظ بالله، فلا يصل عدو الله إلى أهله»(٤).

وقال تعالى مخبرًا عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

(١) المصدر السابق (٤/٢٩٤).

(٢) «أضواء البيان» (٣/١٣١).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٨٥).

(٤) «بدائع التفسير» (٣/٢٥) نقلاً عن مدارج السالكين.

ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٣ - ٨٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يفهم منها إلا أن المخلصين لا يتمكن من إغوائهم»[(١)].

وقال الله ﷻ مخبرًا عنه: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

قوله تعالى ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول للرب جراءة وكفرًا، والرب يحلم وينظر»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ ، قال ابن كثير: «والمعنى أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته علي، لئن أنظرتني لأضلن ذريته إلا قليلًا منهم»[(٣)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول: لأستولين عليهم، ولأستأصلنهم، ولأستميلنهم»[(٤)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال، ولأجتاحنهم، وإنما قال إبليس ذلك ظنًا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾، أو علم من طبع البشر تركب الشهوة فيهم، أو بنى على قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]»[(٥)].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي يظهر لي في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ أي: لأقودنهم إلى ما أشاء»[(٦)].

---

(١) «بدائع التفسير» (٤٨/٤) نقلاً عن «بدائع الفوائد» (٥٩/٣).

(٢) (٣) «تفسير القرآن العظيم» (٤٥/٣).

(٤) «جامع البيان» (١٠٧/٨).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٨٧/١٠) بإختصار.

(٦) «أضواء البيان» (٥٥٠/٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واستخفف، واستجهل»[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي: استنزل واستخف، وأصله القطع، والمعنى استزله بقطعك إياه عن الحق»[(٢)].

قوله تعالى ﴿بِصَوۡتِكَ﴾: قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتًا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه، وإلى عمله وطاعته، وخلافًا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾»[(٣)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ويدخل في هذا كل داعٍ إلى المعصية»[(٤)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الصوت الشيطاني يستفز بني آدم، وصوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله نسب إلى الشيطان لأمره به ورضاه به، وإلا فليس هو الصوت نفسه فصوت الغناء، وصوت النوح، وصوت المعازف من الشبابات والأوتار وغيرها كلها من أصوات الشيطان التي يستفز بها بني آدم، فيستخفهم ويزعجهم، ولهذا قال السلف في هذه الآية «إنه الغناء»، ولا ريب أنه من أعظم أصوات الشيطان التي يستفز بها النفوس ويزعجها ويقلقها، وهو ضد القرآن الذي تطمئن به القلوب، وتسكن وتخبت إلى ربها، فصوت القرآن يسكن النفوس، ويطمئنها ويوقرها، وصوت الغناء يستفزها، ويزعجها ويهيجها، فلو لم يكن دليل على أن صوت الغناء والمعازف هو صوت الشيطان لما يستفز به السامع ويقلقه به ويزعجه ويزيل به طمأنينته لكفى به دليلًا.

(١) «جامع البيان» (٨/١٠٨).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/٢٨٨) بإختصار يسير.
(٣) «جامع البيان» (٨/١٠٨).
(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٤١٣).

وكذلك صوته الذي يستفز به النفوس عند المصيبة، وهو النوح، فيستفزها بهذا الصوت إلى الحزن والأسف والسخط بما قضى الله، ويستفزها بذلك الصوت إلى الشهوة، والإرادة والرغبة فيما يبغضه الله، فينهاها بصوت النوح عما أمرها الله به، ويأمرها بصوت الغناء بما نهاها الله عنه، وهذا الصوت هو أحد الأسباب الخمسة التي أقسم الشيطان أنه يحتنك بها ذرية آدم ويستأصلهم إلا قليلًا»[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «واحمل عليهم بجنودك خيالتهم، ورجلتهم فإن الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب، وصحب جمع صاحب، ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه، وهذا أمر قدري كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣]. أي: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا، وتسوقهم إليها سوقًا»[٢].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾: «أي: صح عليهم، من الجلبة وهي الصياح»[٣].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويدخل فيه كل راكب وماشٍ في معصية الله، فهو من خيل الشيطان ورجله»[٤].

قال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى إستفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله، قلت: هو كلام ورد مورد التمثيل، مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتًا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم»[٥].

---

(١) «بدائع التفسير» (٣/٨٩ - ٩٠) بإختصار.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٥ - ٤٦).
(٣) «محاسن التأويل» (١٠/٣٩٤٧).
(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٤١٣).
(٥) «الكشاف» (٢/٤٥٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل راكب في معصية الله فهو من خيالة الشيطان، وكل ماش في معصية الله فمن رجالته»[١].

قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في قوله تعالى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ -: «قال ابن عباس ومجاهد: هو ما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله تعالى».

قال عطاء: هو الربا.

وقال الحسن: هو جمعها من خبيث وإنفاقها في حرام، وكذا قال قتادة، وقال العوفي عن ابن عباس: أما مشاركته إياهم في أموالهم فهو ما حرموه من أنعامهم يعني من البحائر والسوائب ونحوها، وكذا قال الضحاك وقتادة.

وقال ابن جرير: والأولى أن يقال إن الآية تعم ذلك كله»[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه؛ لأن الله لم يخصص بقوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ما عصى الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة، وهذا الذي قال متجه، وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله** عَزَّ وَجَلَّ **إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم**»[٣].

(١) «بدائع التفسير» (٣/٩٠).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره الشيطان أبدًا**»[(١)][(٢)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

«وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم من منع الزكاة والكفارات، والحقوق الواجبة وعدم تأديب الأولاد، وتربيتهم على الخير، وترك الشر، وأخذ الأموال بغير حقها، أو وضعها بغير حقها، أو استعمال المكاسب الردية.

بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم في ذلك، شارك فيه الشيطان، كما ورد في الحديث»[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل مال أخذ من غير حله وأخرج في غير حقه فهو شريك صاحبه فيه، وكل ولد من نطفة زنا فهو شريك أبيه فيه»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إذا حصحص الحق يوم يقضي بالحق ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾» [إبراهيم: ٢٢]»[(٥)].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه الآية لفظها لفظ الأمر، ومعناها التهديد، ومثلها في الكلام أن تقول للإنسان: اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك، قال الزجاج: إذا تقدم الأمر نهى عما يؤمر به فمعناه التهديد والوعيد، تقول للرجل: لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٦).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٤١٤).
(٤) «بدائع التفسير» (٣/٩٠).
(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٦).

أن يدخلها قلت: ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخولها، ولكنك توعده وتهدده، ومثله ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فُصّلَت: ٤٠]، وقد نهوا أن يعملوا بالمعاصي»[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ «إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ أي: حافظًا ومؤيدًا ونصيرًا»[٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد، وذكر ما يعتصم به من فتنته وهو عبودية الله، والقيام بالإيمان والتوكل، قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: تسلط وإغواء، بل الله يدفع عنهم بقيامهم بعبوديته كل شر، ويحفظهم من الشيطان الرجيم، ويقوم بكفايتهم»[٣].

۞ وسوسته للأبوين ليخرجهما من الجنة

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٥ - ٣٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «يقول الله تعالى إخبارًا عما أكرم به آدم: أنه أمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس، وأنه أباح له الجنة يسكن منها حيث يشاء، ويأكل ما شاء رغدًا أي: هنيئًا واسعًا طيبًا.

(١) «زاد المسير» (٥/٤٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٦)

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٤١٤).

وأما قوله ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، فهو من الله تعالى وامتحان لآدم»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال: إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم، وأسكنها آدم قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض»[٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ -: «وإنما كان إخراجهما من الجنة إلى الأرض لأنهما خلقا منها، وليكون آدم خليفة في الأرض، ولم يقصد إبليس – لعنه الله – إخراجه منها، وإنما قصد إسقاطه من مرتبته وإبعاده كما أبعد هو، فلم يبلغ مقصده، ولا أدرك مراده بل ازداد سخنة عين، وغيظ نفس، وخيبة ظن»[٣].

وقال أيضًا: في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ -: «لم يكن إخراج الله تعالى آدم من الجنة وإهباطه منها عقوبة له؛ لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقبل توبته، وإنما أهبطه إما تأديبًا، وإما تغليظًا للمحبة، والصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم، ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي؛ إذ الجنة ليست بدار تكليف، فكانت تلك الأكلة سبب إهباطه من الجنة، ولله أن يفعل ما يشاء، وقد قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة»[٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧٢/١، ٧٣) باختصار.
(٢) «جامع البيان» (٢٦٦/١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٣١٢/١).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٣٢١/١).

عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩ - ٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يذكر تعالى أنه أباح لآدم - عليه السلام - ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة، فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن، وقال كذبًا وإفتراءًا ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي: لئلا تكونا ملكين»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأول كيده ومكره أنه كاد الأبوين بالأيمان الكاذبة أنه ناصح لهما، وأنه إنما يريد خلودهما في الجنة، وعلم عدو الله أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما، فإنها معصية، والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبين العبد، فلما عصيا انهتك ذلك الستر فبدت لهما سوءاتهما، فالمعصية تبدي السوأة الباطنة والظاهرة، ولهذا رأى النبي ﷺ في رؤياه الزناة والزواني عراة بادية سوءاتهم، وهكذا إذا رؤيَ الرجل والمرأة في منامه مكشوف السوأة يدل على فساد في دينه، فإن الله سبحانه أنزل لباسين لباسًا ظاهرًا يواري العورة ويسترها، ولباسًا باطنًا من التقوى يجمل العبد ويستره، فإذا زال عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنة كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها.

ثم قال: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ [الأعراف: ٢٠].

أي: إلا كراهة أن تكونا ملكين، وكراهة أن تدخلا في الجنة، ومن هاهنا دخل عليهما لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها، وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علَّمَ إخوانه وأولياءه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضًا أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه؛ فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٧٩/٢) باختصار يسير.

فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود.

فشام عدو الله الأبوين، فأحس منهم إيناسًا وركونًا إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب فقاسمهما بالله إنه لمن الناصحين، وقال: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

فيقال: كيف أطمع عدو الله آدم عليه السلام أن يكون بأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل ولا تشرب؟ وكان آدم عليه السلام أعلم بالله وبنفسه وبالملائكة من أن يطمع أن يكون منهم بأكله، ولا سيما مما نهاه الله ﷻ عنه؟

فالجواب: أن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلًا، وإنما كذبهما عدو الله وغرهما، وخدعهما بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر: أم الأفراح، وسموا أخاها بلقيمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية، وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان، وسموا أبلغ الكفر، وهو جحد صفات الرب تنزيها، وسموا مجالس الفسوق مجالس الطيبة.

فلما سماها شجرة الخلد قال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها، فتخلدا في الجنة ولا تموتا، فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم – عليه السلام – قد علم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه أنه ناصح لهما، فاجتمعت الشبهة والشهوة، وساعده القدر فأخذتهما سنة الغفلة، واستيقظ لهما العدو، إلا أن هذا الجواب يعترض عليه قوله ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

فيقال: الماكر المخادع لابد أن يكون فيما يمكر به ويكيد من التناقض والباطل ما يدل على مكره وكيده، ولا حاجة بنا إلى تصحيح كلام عدو الله، والإعتذار عنه، وإنما يعتذر عن الأب في كون ذلك راج عليه، وولج سمعه، فهو لم يجزم لهما بأنهما إن أكلا منها صارا ملكين، وإنما ردد الأمر بين أمرين: أحدهما ممتنع، والآخر ممكن، وهذا من أبلغ أنواع

الكيد والمكر، ولهذا لمَّا أطمعه في الأمر الممكن جزم له به، ولم يردده، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، فلم يدخل أداة الشك هاهنا كما أدخلها في قوله ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١]، فتضمن هذا الخبر أنواعًا من التأكيد:

أحدها: تأكيده بالقسم.

الثاني: تأكيده بإن.

الثالث: تقديم المعمول على العامل إيذانًا بالإختصاص، أي نصيحتي مختصة بكما، وفائدتها إليكما لا إلي.

الرابع: إتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم دون الفعل الدال على التجدد: أي النصح صفتي وسجيتي ليس أمرًا عارضًا لي.

الخامس: إتيانه بلام التأكيد في جواب القسم.

السادس: أنه صور نفسه لهما ناصحًا من جملة الناصحين فكأنه قال لهما: الناصحون لكما في ذلك كثير، وأنا واحد منهم، كما تقول لمن تأمره بشيء: كل أحد معي على هذا، وأنا من جملة من يشير عليك به.

ثم قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ .

قلت: أصل التدلية في اللغة الإرسال والتعليق، يقال: دلى الشيء في مهواة، إذا أرسله بتعليق، وتدلى الشيء بنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾»[1].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾: «فخدعهما بغرور يقال منه «ما زال فلانًا يدلي فلانًا بغرور» بمعنى: ما زال يخدعه بغرور، ويكلمه بزخرف من القول باطل»[2].

(١) «إغاثة اللهفان» (١٤٢: ١٤٥) باختصار في بعض المواطن. ط ابن رجب.

(٢) «جامع البيان» (٥/٤٥١).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل، والتدلية: إرسال الدلو في البئر.

والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أنزلهما عن رتبتهما العالية - التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي - إلى التلوث بأوضارها، فأقدما على أكلها»(٢).

وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١١٧ - ١٢٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: كلمه كلامًا خفيًا، فسمعه منه آدم وفهمه، والدليل على أن الوسوسة المذكورة في هذه الآية الكريمة كلام من إبليس سمعه آدم وفهمه: أنه فسر الوسوسة في هذه الآية بأنها قول، وذلك في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠] الآية، فالقول المذكور هو الوسوسة المذكورة، وقد أوضح هذا في سورة «الأعراف» وبين أنه وسوس إلى حواء أيضًا مع آدم، وذلك في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ لأن تصريحه تعالى في آية «الأعراف» هذه بأن إبليس قاسمهما - أي: حلف لهما على أنه ناصح لهما فيما ادعاه من الكذب - دليل واضح على أن الوسوسة المذكورة كلام مسموع، واعلم أن في وسوسة الشيطان إلى آدم إشكالًا معروفًا، وهو أن يقال: إبليس قد أُخْرِجَ من الجنة صاغِرًا مذمومًا مدحورًا، فكيف أمكنه

---

(١) «معالم التنزيل» (٣/٢٢٠) باختصار.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٤٨).

الرجوع إلى الجنة حتى وسوس لآدم؟

والمفسرون يذكرون في ذلك قصة الحية، وأنه دخل فيها فأدخلته الجنة، والملائكة الموكلون بها لا يشعرون بذلك، وكل ذلك من الإسرائيليات.

والواقع أنه لا إشكال في ذلك؛ لإمكان أن يقف إبليس خارج الجنة قريبًا من طرفها بحيث يسمع آدم كلامه وهو في الجنة، وإمكان أن يدخله الله إياها لإمتحان آدم وزوجه، لا لكرامة إبليس.

فلا محال عقلًا في شيء من ذلك، والقرآن قد جاء بأن إبليس كلم آدم، وحلف له حتى غره وزوجه بذلك.

وقوله في هذه الآية الكريمة على شجرة الخلد، أضاف الشجرة إلى الخلد، وهو الخلود؛ لأن من أكل منها يكون في زعمه الكاذب خالدًا لا يموت ولا يزول، وكذلك يكون له في زعمه ملك لا يبلى (أي: لا يفنى ولا ينقطع).

وفي القصة أن آدم لمَّا سمعه يحلف بالله أعتقد - من شدة تعظيمه لله - أنه لا يمكن أن يحلف به أحد على الكذب، فأنساه ذلك العهد بالنهي عن الشجرة»[١].

«وأسند جل وعلا إبداء ما ووري عنهما من سوءاتهما إلى الشيطان في قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾، كما أسند له نزع اللباس عنهما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧]، لأنه هو المتسبب في ذلك بوسوسته وتزيينه»[٢].



(١) «أضواء البيان» (٥٧٤/٤ - ٥٧٥) باختصار.

(٢) المصدر السابق (٥٧٩/٤).

فصل: تحذير الرحمن بني آدم من فتنة الشيطان كما فعل مع الأبوين

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحذر تعالى بني آدم من إبليس وقبيله مبينًا لهم عدواته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام في سعيه في إخراجه من الجنة – التي هي دار النعيم – إلى دار التعب والعناء، والتسبب في هتك عورته بعد ما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة»(١).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأضاف جل ثناؤه إلى إبليس إخراج آدم وحواء من الجنة، ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما – وإن كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما إياه – إذ كان الذي منهما في ذلك عن تسنية ذلك لهما بمكره وخداعه، فأضيف إليه إحيانًا بذلك المعنى، وإلى الله أحيانًا بفعله ذلك بهما»(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٨١/٢).

(٢) «جامع البيان» (٤٦٢/٥).

باب: صفة الشيطان

۞ أولًا: الصفات الخلقية

۞ بشاعة مناظر الشياطين:

قال تعالى - مخبرًا عن شجرة الزقوم -: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصَّافات: ٦٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ تبشيع لها وتكريه لذكرها، وإنما شبَّهها برؤوس الشياطين - وإن لم تكن معروفةً عند المخاطبين - لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر»[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورؤوس الشياطين متصور في النفوس - وإن كان غير مرئي - ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان، ولكل صورة حسنة هي كصورة ملك، ومنه قوله تعالى - مخبرًا عن صواحب يوسف -: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يُوسُف: ٣١]»[٢].

قال الزمخشري: « وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لإعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله»[٣].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٢/٤) باختصار.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨٦/١٥).

(٣) «الكشاف» (٣٤٢/٣).

۞ الشيطان له قرنان:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان، أو الشيطان**»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلًا**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ - وهو مستقبل المشرق - يقول: «**ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٣].

قال النووي رحمه الله : «قوله بين قرني الشيطان: المراد أنه يحاذيها بقرنيه عند غروبها، وكذا عند طلوعها؛ لأن الكفار يسجدون لها حينئذ، فيقارنها ليكون الساجدون لها في صورة الساجدين له، ويخيل لنفسه ولأعوانه أنهم إنما يسجدون له».

۞ ثانيًا: صفات وصف بها الشيطان في الكتاب والسنة ومنها:

١ - **الإبلاس**: وهو «اليأس من الخير، والندم، والحزن»[٤].

٢ - **الشطون**: وهو «البعد عن الخير»[٥].

٣ - **الصغار**: وهو «أشد الذل والهوان»[٦].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٧٢، ٣٢٧٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٢٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٩٣)، ومسلم (٢٩٠٥).

(٤) (٥) راجع باب: الشيطان لغة.

(٦) انظر: «أضواء البيان» (٢/ ٢٦٣).

٤ - **الرجم**: قال تعالى - في شأن إبليس -: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرجيم: المرجوم صرف من (مفعول) إلى (فعيل) وهو المشتوم»(١).

قال الزمخشري: « رجيم: شيطان من الذين يرجمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله؛ لأن من يطرد يرجم بالحجارة، ومعناه ملعون؛ لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها»(٢).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجيم: مطرود ومبعد من كل خير»(٣).

٥ - **اللعن**: قال تعالى - في شأن إبليس -: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنه قد اتبعته لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة»(٤).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّ غضب الله عليك بإخراجه إياك من السماوات وطردك عنها إلى يوم المجازاة، وذلك يوم القيامة»(٥).

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: إن أهل السماوات والأرض يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض، فهو ملعون في السماء والأرض»(٦).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾. أي: الذم، والعيب، والبعد عن رحمة الله ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ففيها وما أشبهها دليل على أنه سيستمر على كفره، وبعده من

(١) «جامع البيان» (٧/٥١٥).
(٢) «الكشاف» (٢/٣٩١).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٨٥).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٤٧٦).
(٥) «جامع البيان» (٧/٥١٥).
(٦) «معالم التنزيل» (٣/٥٠).

الخير»[١].

وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٧، ١١٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: طرده وأبعده من رحمته، وأخرجه من جواره»[٢].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخزاه، وأقصاه، وأبعده»[٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل اللعن: الإبعاد، وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب»[٤].

وقد لعن النبي ﷺ الشيطان في صلاته فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول «**أعوذ بالله منك**» ثم قال «**ألعنك بلعنة الله ثلاثًا، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا فلما فرغ من الصلاة**» قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك «**قال: إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»[٥].

٦ - **الفسق**: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٨٥).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٧/١).
(٣) «جامع البيان» (٢٨٠/٤).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٣٨٨/٥).
(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٤٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عن طاعة الله، فإن الفسق هو الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها، وفسقت الفأرة من جحرها إذا خرجت منه للعبث والفساد»[١].

قال الزمخشري: «﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ والفاء للتسبيب أيضًا جعل كونه من الجن سببًا في فسقه»[٢].

٧ - **الاستكبار**: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال تعالى في شأنه: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٣ - ٧٥].

٨ - **الكفر**: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: جحودًا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه، ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته»[٣].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧٩/٣).

(٢) «الكشاف» (٤٨٧/٢، ٤٨٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣٤/٣).

❁ **كفر إبليس، كفر إباء وإستكبار.**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما كفر الإباء والإستكبار: فنحو كفر إبليس؛ فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والإستكبار»(١).

٩ - **التمرد**: قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النِّساء: ١١٧].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾. يعني: متمردًا على الله في خلافه فيما أمره به، وفيما نهاه عنه»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [الحَجّ: ٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: عاتٍ طاغٍ من شياطين الإنس والجن»(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٦، ٧].

١٠ - **العصيان**: قال تعالى - مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام وأبيه -: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «﴿كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ أي: مخالفًا مستكبرًا عن طاعة ربه، فطرده وأبعده، فلا تتبعه فتصير مثله»(٤).

---

(١) «مدارج السالكين» (١/٣٦٦).
(٢) «جامع البيان» (٤/٢٨٠).
(٣) «أضواء البيان» (٥/١٥).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٠٨).

١١ - ١٢ - **الذم والدحور**: قال تعالى - في شأن إبليس -: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومًا مَّدۡحُورًاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف: ١٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال ابن جرير: أما المذءوم فهو المعيب، والمدحور المقصي، وهو المبعد المطرود»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «﴿مَّدۡحُورًاۖ﴾، مبعدًا عن الله، وعن رحمته، وعن كل خير»[(٢)].

١٣ - الكذب: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة**» قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمته، فخليت سبيله، قال ﷺ: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «**إنه سيعود**» فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود. فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعيالًا فرحمته، فخليت سبيله قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فأقرأ

(١) المصدر السابق (١٧٩/٢) باختصار.
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٤٧).

آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ ، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب مذ ثلاث يا أبا هريرة؟**» قال: لا، قال ﷺ: «**ذاك شيطان**»[(١)].

قال الحافظ رحمه الله - في «الفتح» -: «وفي هذا الحديث من الفوائد، وذكر منها: «وبأن الشيطان من شأنه أن يكذب»[(٢)].

١٤ - **الخبث**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(٣)].

قال الحافظ رحمه الله - في «الفتح» -: « الخبث والخبائث: ذكران الشياطين وإناثهم»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري تعليقاً (٢٣١١) عن عثمان بن الهيثم عن عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة.
ووصله النسائي في «الكبرى» (١٠٧٩٥)، وابن خزيمة (٢٤٢٤)، وقال: حدثنا هلال بن بشر البصري بخبر غريب غريب، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٠٧/٧، ١٠٨) كلهم بإسناد صحيح إلى عثمان.
و(عثمان بن الهيثم) قال فيه أبو حاتم: صدوق غير أنه بآخره كان يتلقن ما يُلَقَّن، وقال الساجي: صدوق ذكر عند أحمد فأومئ إلى أنه ليس بثبت، وقال الدارقطني: صدوق كثير الخطأ، وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال الحافظ في «التقريب»: ثقة تغير فصار يتلقن.
وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٩٤) عن أحمد بن محمد بن عبيد الله عن شعيب بن حرب عن إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي عن أبي هريرة به، وهذا إسناد صحيح.
وفيه أنه كان على تمر الصدقة، فوجد أثر كف كأنه قد أخذ منه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أتريد أن تأخذه قل: سبحان من سخرك لمحمد ﷺ...**».

(٢) (٥٧١/٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٤) (٢٩٣/١).

باب: عداوة الشيطان للناس أجمعين

۞ عداوته للأبوين:

تقدم في الباب الثالث، وعداوته لآدم عليه السلام ظهرت من قبل أن ينفخ فيه الروح، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لمَّا صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلمَّا رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك**»[(١)].

۞ عداوته لبني آدم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: أنه قد أبان لكم عداوته بإبائه عن السجود لأبيكم، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة، واستزله بالخطيئة، وأكل من الشجرة»[(٢)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: مبين ظاهر العداوة»[(٣)].

وقال تعالى حاكيًا عن يعقوب – عليه السلام –: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦١١).

(٢) «جامع البيان» (٢/٨١).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٦٠).

إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ [يُوسُف: ٥].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: لا يفتر عنه ليلًا ولا نهارًا، ولا سرًا ولا جهارًا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقد أمرنا الله ﷻ باتخاذ الشيطان عدوًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فَاطِر: ٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه، أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به»[(٢)].

قال الزمخشري: «أخبرنا الله ﷻ أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته، وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا، فوعظنا ﷻ بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرف في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله.

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم»[(٣)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ أي: لتكن منكم عداوته، ولا تهملوا محاربته كل وقت؛ فإنه يراكم، وأنتم لا ترونه، وهو دائمًا لكم بالمرصاد»[(٤)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأمر باتخاذه عدوًا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٤٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٦٧).

(٣) «الكشاف» (٣/٣٠٠، ٣٠١).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٦٣١).

ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عداد الأنفاس»[(١)].

۞ عداوته لنفسه:

وقد عقد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فصلًا في «كيد الشيطان لنفسه» في كتابه «إغاثة اللهفان» قال فيه: «أما كيده لنفسه فإن الله سبحانه لمَّا أمره بالسجود لآدم عليه السلام كان في إمتثال أمره وطاعته سعادته، وفلاحه، وعزه، ونجاته، فسولت له نفسه الجاهلة الظالمة: أن في سجوده لآدم عليه السلام غضاضةً عليه، وهضمًا لنفسه إذ يخضع، ويقع ساجدًا لمن خلق من طين، وهو مخلوق من نار، والنار – بزعمه – أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق منه، وخضوع الأفضل لمن هو دونه غضاضة عليه، وهضم لمنزلته.

فلمَّا قام بقلبه هذا الهوس، وقارنه الحسد لآدم لما رأى ربه – سبحانه – قد خصه به من أنواع الكرامة: فإنه خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وميزه بذلك عن الملائكة، واسكنه جنته فعند ذلك بلغ الحسد من عدو الله كل مبلغ، وكان عدو الله يطيف به وهو صلصال كالفخار، فيتعجب منه، ويقول: لأمر عظيم قد خلق هذا، ولئن سُلِّطَ عليَّ لأعصينه، ولئن سُلِّطْتُ عليه، فلمَّا تم خلق آدم عليه السلام في أحسن تقويم وأكمل صورة: طوله في السماء ستون ذراعًا، قد ألبس رداء الجمال والحسن والمهابة والبهاء، فرأت الملائكة منظرًا لم يشاهدوا أحسن منه ولا أجمل، فوقعوا كلهم سجودًا له، بأمر ربهم – تبارك وتعالى – فشق الحسود قميصه من دبر، واشتعلت في قلبه نيران الحسد المتين، فعارض النص بالمعقول بزعمه، كفعل أوليائه من المبطلين، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ فأعرض عن النص الصريح، وقابله بالرأي الفاسد القبيح، ثم أردف ذلك بالاعتراض على العليم الحكيم، الذي لا تجد العقول إلى الاعتراض على حكمته سبيلًا، فقال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢].

---

(١) «بدائع التفسير» (٣/٤٤٣) نقلاً عن زاد المعاد (٣/٦).

وتحت هذا الكلام من الاعتراض معنى: أخبرني، لِمَ كرمته علي؟ وغور هذا الاعتراض: أن الذي فعلته ليس بحكمة وصواب، وأن الحكمة كانت تقتضي أن يسجد هو لي، لأن المفضول يخضع للفاضل، فلم خالفت الحكمة؟

ثم أردف ذلك بتفضيل نفسه عليه، وإزدرائه به، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾، ثم قرر ذلك بحجته الداحضة، في تفضيل مادته وأصله على مادة آدم - عليه السلام - وأصله.

فأنتجت له هذه المقدمات إباءه وامتناعه من السجود، ومعصية الرب المعبود.

فجمع بين الجهل والظلم، والكبر والحسد والمعصية، ومعارضة النص بالرأي والعقل، فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعتها، وأذلها من حيث أراد عزتها، وآلمها كل الألم من حيث أراد لذتها، ففعل بنفسه ما لو أجتهد أعظم أعدائه في مضرته لم يبلغ منه ذلك المبلغ، ومن كان هذا غشه لنفسه فكيف يسمع منه العاقل ويقبل ويواليه؟»[١].



(١) «إغاثة اللهفان» (٦١٧، ٦١٨).

باب: اقتران الشيطان بالإنسان

❁ اقتران الشيطان بالإنسان نوعان:

١ - اقتران عام ٢ - اقتران خاص

❁ أولًا: الاقتران العام:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**» قالوا: وإياك يا رسول الله قال: «**وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلًا.

قالت: فغرت عليه. فجاء فرأى ما أصنع. فقال: «**ما لك؟ يا عائشة أغرت؟**» فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أقد جاءك شيطانك**» قالت يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: «**نعم**» قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «**نعم**» قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «**نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم**»[٢].

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم يصلي. فلا يدع أحدًا يمر بين يديه. فإن أبي فليقاتله. فإن معه القرين**»[٣].

❁ ثانيًا: الاقتران الخاص:

وهو اقتران زائد عن الاقتران العام وأخص منه، ويكون لأهل الكفر والفسوق والعصيان.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٤).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٥).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٠٦).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم، فإذا وافى الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة يتبرأ من الشيطان الذي وكل به»(١).

فصل: إرسال الشياطين على الكافرين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ يقول: تحركهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها.

﴿أَزًّا﴾ إزعاجًا وإغواء»(٢).

قال الزمخشري: «الأز والهز والإستفزاز أخوات، ومعناها التهييج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي، وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات»(٣).

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾. أي: سلطناهم عليهم، وقيضناهم لهم، وهذا هو الصواب، خلافًا لمن زعم أن معنى ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ الآية، أي: خلينا بينهم

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/١١٤).
(٢) «جامع البيان» (٨/٣٧٩).
(٣) «الكشاف» (٢/٥٢٤).

وبينهم، ولم نعصمهم من شرهم، يقال: أرسلت البعير أي: خليته»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وهذا من عقوبة الكافرين أنهم - لمَّا لم يعتصموا بالله، ولم يتمسكوا بحبل الله، بل أشركوا به ووالوا أعداءه من الشياطين- سلطهم عليهم، وقيضهم، فجعلت الشياطين تؤزهم إلى المعاصي أزًا، وتزعجهم إلى الكفر إزعاجًا، فيوسوسون لهم، ويوحون إليهم، ويزينون لهم الباطل، ويقبحون لهم الحق»[(٢)].

فصل: مس الشيطان لكل مولود

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها**»[(٣)].

وفي رواية: «**كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن، فطعن في الحجاب**»[(٤)].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح»: «قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو إبتداء التسليط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٦]»[(٥)].



(١) «أضواء البيان» (٤/٤٢٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٤٤٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٨٦).

(٥) (٦/٥٤١).

فصل: الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم

عن صفية زوج النبي ﷺ: أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد - عند باب أم سلمة - مر رجلان من الأنصار فسلَّما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: «**على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي**» فقالا: سبحان الله يا رسول الله!، وكبر عليهما.

فقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**»(١) متفق عليه.

ولفظ مسلم: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»(٢).

وعن أنس أن النبي ﷺ كان مع احدي نسائه فمر به رجل فدعاه فجاء.

فقال: «**يا فلان هذه زوجتي فلانة**» فقال: يا رسول الله من كنت أظن به. فلم أكن أظن بك.

فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»(٣).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح»: «قوله «**يبلغ**» أو «**يجري**»: قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى أقدره على ذلك، وقيل هو على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه، وكأنه لا يفارق كالدم، فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة»(٤).

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٣٥) ، ومسلم(٢١٧٥).

(٢) **صحيح**: وأخرجه أيضاً البخاري (٢٠٣٨)، (٣٢٨١).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٧٤).

(٤) (٣٢٨/٤، ٣٢٩).

باب: سلطان الشيطان

وقد تقدم طرفٌ من الكلام على هذا الباب، فلا حاجة لإعادته هنا.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واعلم أن الله ذكر في هذه الآية، أن الشيطان ليس له سلطان، وقال في آية أخرى ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النّحل: ١٠٠].

فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلًا على ما يدعو إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على المعاصي.

وأما السلطان الذي أثبته: فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه يؤزهم إلى المعاصي أزًا، وهم الذين سلطوه على أنفسهم، بموالاته، والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون»[١].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٧٩).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبإ: ١٠، ١١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: قال مجاهد وعكرمة والمفسرون: ليس له حجة.

والصواب: أن يقال: ليس له طريق يتسلط به عليهم: لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة، والقدرة داخلة في مسمى السلطان، وإنما سميت الحجة سلطانًا؛ لأن صاحبها يتسلط بها تسلط القدرة بيده، وقد أخبر سبحانه أنه لا سلطان لعدوه على عباده المخلصين المتوكلين، فقال في سورة «الحجر»: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٢].

وقال في سورة النحل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠].

فتضمن ذلك أمرين:

أحدهما: نفي سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص.

والثاني: إثبات سلطانه على أهل الشرك، وعلى من تولاه.

ولمَّا علم عدو الله أن الله تعالى لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص، قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

فعلم عدو الله أن من اعتصم بالله ﷻ وأخلص له وتوكل عليه لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله، فهؤلاء رعيته، وهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم، فإن قيل: فقد أثبت له السلطان على أوليائه في هذا الموضع، فكيف ينفيه في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾.

قال ابن قتيبة: «إن إبليس لمَّا سأل الله تعالى النظرة، فأنظره، قال: لأغوينَّهم ولأضلنَّهم

ولآمرنَّهم بكذا، ولأتخذنَّ من عبادك نصيبًا مفروضًا، وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقنًا أن ما قدَّره فيه يتم، وإنما قال فيهم ظانًا، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم، فقال تعالى وما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين، يعني نعلمهم موجودين ظاهرين، فيحق القول ويقع الجزاء».

وعلى هذا فيكون السلطان ههنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها، وهم الذين تولوه وأشركوا به فيكون السلطان ثابتًا لا منفيًا، فتتفق هذه الآية مع سائر الآيات.

فإن قيل: فما تصنع بالتي في سورة إبراهيم، حيث يقول لأهل النار: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ وهذا – وإن كان قوله – فالله سبحانه أخبر به عنه مقررًا له، لا منكرًا، فدل على أنه كذلك.

قيل: هذا سؤال جيد، وجوابه: أن السلطان المنفي في هذا الموضع هو الحجة والبرهان، أي ما كان لي عليكم من حجة وبرهان أحتج به عليكم.

وأما السلطان الذي أثبته في قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ فهو تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال، وتمكنه منهم بحيث يؤزهم إلى الكفر والشرك، ويزعجهم إليه ولا يدعهم يتركونه، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ فهذا من السلطان الذي له على أوليائه وأهل الشرك، ولكن ليس له على ذلك سلطان حجة وبرهان، وإنما استجابوا له بمجرد دعوتهم إياهم. لمَّا وافقت أهوائهم وأغراضهم، فهم الذين أعانوه على أنفسهم، ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته، فلمَّا أعطوا بأيديهم واستأسروا له، سُلِّطَ عليهم عقوبةً لهم.

وبهذا يظهر معنى قوله – سبحانه –: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: ١٤١] فالآية على عمومها وظاهرها.

وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة – التي تضاد الإيمان – ما يصير به للكافرين عليهم سبيل بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه يوم أحد بمعصية الرسول ومخالفته، والله – سبحانه – لم يجعل للشيطان

على العبد سلطانًا، حتى جعل له العبد سبيلًا إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حينئذ له عليه تسلطًا وقهرًا، فمن وجد خيرًا فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

فالتوحيد والتوكل والإخلاص - يمنع سلطانه - والشرك وفروعه يوجب سلطانه، والجميع بقضاء من أزمة الأمور بيده، ومردها إليه، وله الحجة البالغة، فلو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولكن أبت حكمته وحمده وملكه إلا ذلك»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠]:

«فإن قيل: فقد أثبت له على أوليائه هاهنا سلطانًا، فكيف نفاه بقوله تعالى - حاكيًا عنه مقررًا له -: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١].

قيل: السلطان الذي أثبته له عليهم غير الذي نفاه من وجهين:

أحدهما: أن السلطان الثابت هو سلطان التمكن منهم وتلاعبه بهم، وسوقه إياهم كيف أراد بتمكينهم إياه من ذلك بطاعته وموالاته، والسلطان الذي نفاه سلطان الحجة، فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان.

الثاني: أن الله لم يجعل له عليهم سلطانًا ابتداءً البتة، ولكن هم سلطوه على أنفسهم بطاعته، ودخولهم في جملة جنده وحزبه، فلم يتسلطن عليهم بقوته؛ فإن كيده ضعيف،

(١) «إغاثة اللهفان» (١٢٦:١٢٩) باختصار في بعض المواضع.

وإنما تسلطن عليهم بإرادتهم واختيارهم، والمقصود أن من قصد أعظم أوليائه وأحبابه ونصحائه فأخذه وأخذ أولاده وحاشيته وسلمهم إلى عدوه، كان من عقوبته أن يسلط عليه ذلك العدو نفسه»(١).

فصل: الحكم الإلهية من تسليط الشيطان على الإنسان

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يسلط هذا العدو على عبده المؤمن - الذي هو أحب المخلوقات إليه - إلا لأن الجهاد أحب شيء إليه، وأهله أرفع الخلق عنده درجات، وأقربهم إليه وسيلة»(٢).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قيل: كان من الممكن ألا يسلط عليهم العدو؟

قيل: قد تقدم أنه - سبحانه - خلق آدم وذريته على بنية وتركيب مستلزم لمخالطتهم لعدوهم وابتلائهم به، ولو شاء لخلقهم كالملائكة الذين هم عقول بلا شهوات، فلم يكن لعدوهم طريق إليهم، ولكن لو خلقوا هكذا لكانوا خلقًا غير بني آدم، فإن بني آدم قد رُكِبُّوا على العقل والشهوة»(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) «بدائع التفسير» (٣/٥٨ - ٥٩) نقلاً عن «عدة الصابرين» (٢٦).

(٢) «الداء والدواء» (١٢٦).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/١١٣).

باب: دعوة الشيطان الناس إلى النار

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

فصل: بيان الطرق والسبل التي يسلكها الشيطان لتحقيق ذلك

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال: «**هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(١)].

ومن هذه السبل والطرق التي يسلكها الشيطان لدعوة الناس إلى النار:

١ - دعوة الشيطان الإنسان إلى الكفر:

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/٤٣٥، ٤٦٥)، والدارمي (١/٦٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٧٤)، والطيالسي (٢٤١)، والبزار (١٧١٨) كلهم من طرق عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن ابن مسعود به، وهذا إسناد حسن.

وقد تابع عاصم الأعمش، كما عند البزار (٢٢١١) كشف الأستار بإسناد صحيح.

وتابع أبا وائل الربيع بن خيثم، كما عند البزار (٢٢١٢) كشف الأستار بإسناد صحيح.

مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني مثل هؤلاء اليهود في إغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم، ثم لمَّا حقت الحقائق، وجد بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم، وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان – والعياذ بالله – الكفر، فإذا دخل فيما سوله له تبرأ منه، وتنصل، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾»[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس قول الشيطان ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، حقيقة، إنما هو على وجه التبرؤ من الإنسان، فهو تأكيد لقوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾»[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم بغرور إلى ما يضرهم، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاق بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم، وتخلى عنهم»[(٣)].

وعن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدًا، حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»[(٤)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي**

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/٢٩٨).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٤٢).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٧٩١).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

فيمكث أربعين (لا أدري: أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا) فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه» قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال:**«فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان»**(١).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع**» قال العلماء: معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور، وقضاء الشهوات، والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضًا في أخلاق السباع العادية»(٢).

٢ - الإضلال:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النِّساء: ٦٠].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: أن الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالًا بعيدًا، يعني: فيجور بهم عنها جورًا شديدًا»(٣).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك، وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٠).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (٧٦/١٨) ط. دار إحياء التراث العربي.
(٣) «جامع البيان» (١٥٥/٤).

يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ عن الحق»(١).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ -: «والمراد بذلك الخلق الكثير»(٢).

وقال - في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ -: «أي: أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعدولكم إلى إتباع الشيطان»(٣).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ : «وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الشيطان أضل خلقًا كثيرًا من بني آدم جاء مذكورًا في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أي قد استكثرتم أيها الشياطين من إضلال الناس»(٤).

وقال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ الآية [النساء: ١١٧، ١١٨]

قوله تعالى - حاكيًا عن إبليس -: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: معينًا مقدرًا معلومًا»(٥).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : «علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاه وآثر طاعته على طاعة مولاه.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٤٨، ١٤٩).

(٢) (٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٩١).

(٤) «أضواء البيان» (٦/٦٦٤).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (١/٤٧٧).

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: أي عن الصراط المستقيم ضلالًا في العلم، وضلالًا في العمل»[١].

فصل: دعوة الشيطان إلى الإفراط أو التفريط

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن الشيطان:«أنه يشام النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الإنكفاف والإحجام والمهانة؟

فإن رأي الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهون عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: «ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر» وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي.

والقليل منهم جدًا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه»[٢].

٣ - الاستهواء:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس، عليكم بتقواكم، لا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله»**[٣].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٦٧).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١٤٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٥٣/٣، ٢٤١، ٢٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٧، ١٠٠٧٨)، وعبد بن حميد (١٣٠٩، ١٣٣٧)، وفي بعض الروايات: «**ولا** =

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**» قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

قال ابن جرير رحمه الله: «وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره لمن كفر بالله بعد إيمانه، فاتبع الشياطين، من أهل الشرك بالله، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه، المقيمون على الدين الحق يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق وعنه زائل، يقولون له: ﴿ائْتِنَا﴾ فكن معنا على استقامة وهدى، وهو يأبى ذلك، ويتبع دواعي الشيطان، ويعبد الآلهة والأوثان»(٢).

وقال الزمخشري: «فشبه الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونه إليه، فلا يلتفت إليهم»(٣).

وقال السعدي رحمه الله: «وهذه حال الناس كلهم إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة: دواعي الرسالة والعقل الصحيح والفطرة

= **يستجرينكم الشيطان**».

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/٢٤، ٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٤، ١٠٠٧٥).

وقوله: «**ولا يستجرينكم الشيطان**».

قال ابن الأثير: أي لا يستعلينكم فيتخذكم جرياً، أي: رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، يريد: تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسله وتنطقون عن لسانه.

(٢) «جامع البيان» (٥/٢٣٢).

(٣) «الكشاف» (٢/٢٨).

المستقيمة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾، والصعود إلى أعلى عليين.

ودواعي الشيطان، ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين.

فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك،ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة»[(١)].

٤ - الصد عن سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم»[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ -: «أي: الصراط المستقيم، والدين القويم»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزخرف: ٦٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قوله تعالى ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ -: «أي: عن إتباع الحق»[(٤)].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «يقول جل ثناؤه: ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما آمركم

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٢٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/١١٤).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٧١١).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٤/١١٨).

وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم، فتضلوا»[١].

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقال تعالى - حاكيًا عن هدهد سليمان -: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

٥ - التزيين:

قال تعالى - حاكيًا عن إبليس -: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

قوله تعالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أحبب إليهم المعاصي، وأرغبهم فيها، أؤزهم إليها، وأزعجهم إزعاجًا»[٢].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه»[٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: من الشرك والمعاندة والمعاصي»[٤].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وحَسَّنَ لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي

---

(١) «جامع البيان» (٢٠٦/١١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٦/٢).

(٣) «زاد المسير» (٢٩٣/٤).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (١١٦/٢).

يكرهها الله ويسخطها منهم»[(١)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : «فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهةً من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: ٦٣].

وقال تعالى – حاكيًا عن هدهد سليمان –: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقال تعالى –في شأن المشركين يوم بدر –: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «حَسَّنَ لهم – لعنه الله – ما جاءوا له وما هموا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر، فقال إني جار لكم، وذلك أنه تبدي لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج، كبير تلك الناحية، وكل ذلك منه»[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : «والله تعالى يضيف تزيين الدنيا والمعاصي إلى الشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فإن

(١) «جامع البيان» (١٩١/٥).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢١٨).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢٧٥/٢).

إضافة التزيين إليه قضاءًا وقدرًا، وإلى الشيطان تسببًا، مع أن تزيينه تعالى عقوبة لهم على ركونهم إلى ما زينه الشيطان لهم»[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وأما التزيين، فقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ﴾ [فَاطِر: ٨].

وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

أضاف التزيين إليه منه سبحانه خلقًا ومشيئةً، وحذف فاعله تارةً، ونسبه إلى سببه ومن أجراه على يده تارة.

وهذا التزيين منه سبحانه حسن؛ إذ هو ابتلاء واختبار بعيد ليتميز المطيع منهم من العاصي، والمؤمن من الكافر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

وهو من الشيطان قبيح، وأيضًا فتزيينه – سبحانه – للعبد عمله السيء عقوبة منه له على إعراضه عن توحيده وعبوديته، وإيثار سيء العمل على حسنه، فإنه لابد أن يُعرِفَهُ سبحانه السيء من الحسن، فإذا آثر القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه زينه الله له، وأعماه عن رؤية قبحه بعد أن رآه قبيحًا.

وكل ظالم وفاجر وفاسق لابد أن يريه الله تعالى ظلمه وفجوره وفسقه قبيحًا، فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه، فربما رآه حسنًا عقوبةً له، فإنه إنما يكشف له عن قبحه بالنور الذي في قلبه، وهو حجة الله عليه، فإذا تمادى في غيه وظلمه ذهب ذلك النور، فلم ير قبحه في ظلمات الجهل والفسوق والظلم.

ومع هذا، فحجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتعريف الأول، فتزيين الرب تعالى عدل

(١) «مدارج السالكين» (٢٠٤/١) باختصار يسير.

وعقوبته حكمة، وتزيين الشيطان إغواء وظلم، وهو السبب الخارج عن العبد، والسبب الداخل فيه حبه وبغضه وإعراضه»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومن مكايده أنه يسحر العقل دائمًا حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله.

كم فتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان! وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة! وكم بهرج من الزيوف على الناقدين، وكم روج من الزغل على العارفين! فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم في سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم في المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، وَوَأْد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه على عرشه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ في قالب التقليد، والإكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس»[٢].

٦ - أمره بالسوء والفحشاء والمنكر.

٧ - والقول على الله بغير علم.

٨ - والوعد بالفقر.

(١) «شفاء العليل» (١/٢٦٨).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١٤١).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضًا»[1].

وقال الزمخشري: «﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: لا يأمركم بخير قط»[2].

وقال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ما تجاوز الحد في القبح من العظائم»[3].

وقال – في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، نقلًا عن ابن القيم في «إعلام الموقعين » –: «القول على الله بلا علم يعم القول عليه سبحانه في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه، وقد جعله الله تعالى من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦، ١١٧].

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/١٧٩).

(٢) «الكشاف» (١/٣٢٧).

(٣) «محاسن التأويل» (٣/٣٦٩).

حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام، إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه»[١].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: بالشر الذي يسوء صاحبه، فيدخل في ذلك جميع المعاصي.

و﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الفحشاء من المعاصي ما تناهى قبحه، كالزنا، وشرب الخمر، والقتل، والقذف، والبخل، ونحو ذلك مما يستفحشه من له عقل.

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم»[٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦٨].

قوله تعالى: ﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله. ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي: في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء.

﴿وَفَضْلًا﴾ أي: في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر»[٣].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني بذلك تعالى ذكره: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾، أيها الناس

(١) المصدر السابق (٣/٣٧٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٦٣) باختصار يسير.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/٢٧٨).

بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا»[١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فهذه الآية متصلة بما قبل، وأن الشيطان له مدخل في التثبيط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها»[٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلمَّا حثهم على الإنفاق النافع، ونهاهم عن الإمساك الضار، بين لهم أنهم بين داعيين:

- داعي الرحمن: يدعوهم إلى الخير، ويعدهم عليه الخير، والفضل والثواب العاجل والآجل، وإخلاف ما أنفقوا.

- وداعي الشيطان: الذي يحثهم على الإمساك، ويخوفهم إن أنفقوا أن يفتقروا، فمن كان مجيبًا لداعي الرحمن، وأنفق مما رزقه الله، فليبشر بمغفرة الذنوب، وحصول كل مطلوب، ومن كان مجيبًا لداعي الشيطان، فإنه إنما يدعو حزبه، ليكونوا من أصحاب السعير، فليختر العبد أي الأمرين أليق به»[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «هذه الآية تتضمن الحض على الإنفاق، والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني؛ فإنها اشتملت على بيان الداعي إلى البخل، والداعي إلى البذل والإنفاق، وبيان ما يدعو إليه داعي البخل، وما يدعو إليه داعي الإنفاق، وبيان ما يدعو به داعي الأمرين.

فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان، وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم، وهذا هو الداعي الغالب على الخلق، فإن أحدهم يهم بالصدقة والبذل، فيجد في قلبه داعيًا يقول له: متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه، وافتقرت إليه بعد إخراجه، وإمساكه خير لك، حتى لا تبقى مثل الفقير، فغناك خير له

(١) «جامع البيان» (٣/٨٧).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/٣٢٨).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٩٥).

من غناه، فإذا صور له هذه الصورة أمره بالفحشاء وهي البخل، الذي هو من أقبح الفواحش.

وهذا إجماع من المفسرين: أن الفحشاء هنا البخل. فهذا وعده وهذا أمره، وهو الكاذب في وعده، الغادر الفاجر في أمره.

فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون، فإنه يدلي من يدعوه بغروره، ثم يورده شر الموارد، كما قيل:

دلاهم بغرور ثم أوردهم إن الخبيث لمن والاه غرار

هذا، وإن وعده له بالفقر ليس شفقة عليه، ولا نصيحة له، كما ينصح الرجل أخاه، ولا محبة في بقائه غنيًا، بل لا شيء أحب إليه من فقره وحاجته.

وإنما وعده له بالفقر، وأمره إياه بالبخل، ليسيء ظنه بربه، ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه، فيستوجب منه الحرمان.

وأما الله سبحانه فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه، وفضلًا بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه: إما في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة.

فهذا وعد الله، وذاك وعد الشيطان. فلينظر البخيل والمنفق أي الوعدين هو أوثق؟ وإلى أيهما يطمئن قلبه، وتسكن نفسه»[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ -: «هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها»[2].

وقال الزمخشري: «الفحشاء والفاحشة: ما أفرط قبحه.

---

(١) «بدائع التفسير» (١/٤٣٠، ٤٣١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٣٧).

والمنكر: ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه»[١].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: ما تستفحشه العقول والشرائع من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ وهو: ما تنكره العقول ولا تعرفه»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ -: «أي: ما تطهر من إتباع خطوات الشيطان؛ لأن الشيطان يسعى هو وجنده في الدعوة إليها، وتحسينها»[٣].

٩ - الوسوسة:

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ : «الوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان»[٤].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ : «وسُمِّيَ إلقاء الشيطان في نفس ابن آدم وسوسة إذ هي أبلغ الأسرار وأخفاه»[٥].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ : «الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي، وهو أيضًا من أسماء الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [النَّاس: ٤] ويقال لحديث النفس: وسواس ووسوسة»[٦].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : «ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب، والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وزين له من الأقوال والأعمال ما يصده به عن الطريق، وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من

---

(١) «الكشاف» (٣/٥٥ - ٥٦) باختصار يسير.

(٢) (٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٥١٣).

(٤) «معالم التنزيل» (٢/١٥٢).

(٥) «المحرر الوجيز» (٧/٢٩).

(٦) «أضواء البيان» (٤/٥٧٣) باختصار يسير.

المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصائده ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾، فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد والشياطين، وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين، فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله سبحانه وتعالى من المقربين، وشمله استثناء: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾»[1].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة، فيبذر فيها حب الأفكار الردية، فيتولد منه الإرادات والعزوم، فيتولد منها العمل، فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له، وفيما أمر به، وفيما هيء له وأعد له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم، لم يجد لبذره موضعًا»[2].

۞ وسوسته للأبوين:

وقد تقدم ذلك.

۞ وسوسته في الإيمان بالله:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ، فسألوه: إنَّا نجد في

(١) «إغاثة اللهفان» (٢٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/٥٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «**وقد وجدتموه؟**» قالوا: نعم. قال: «**ذاك صريح الإيمان**»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به.

قال فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[(٢)].

وعن أُبَيّ بن كعب أنه أتى النبي ﷺ برجلين قد اختلفا في القراءة كل واحد منهما يزعم أن النبي ﷺ اقرأه قال: فاستقرأهما النبي ﷺ فاختلفا، فقال لهما: «**أحسنتما**» قال أبي: فدخلني من الشك أشد مما كنت عليه في الجاهلية، فقلت: أحسنتما أحسنتما، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري بيده، ثم قال: «**اللهم اذهب عنه الشيطان**» قال: فارفضضت عرقًا، وكأنِّي أنظر إلى الله فرقًا، ثم قال: «**إني أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف**»[(٣)].

❁ وسوسته في الصلاة:

سيأتي في باب: أحوال الشيطان مع المصلين.

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٣٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/٢٣٥، ٣٤٠)، وعبد بن حميد (٧٠٢)، وأبو داود (٥١١٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٠٤، ١٠٥٠٥) كلهم من طرق عن ذر بن عبد الله عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس به.

وقوله: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**» قال السندي: أي: كيد الشيطان إلى الوسوسة التي لا يؤاخذ بها المرء، ولم يمكنه من غير الوسوسة».

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٥٠٦) قال: أخبرنا أبو داود قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا العوام قال: حدثني أبو إسحاق الهمداني عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب به.

فصل

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٥].

قال الزمخشري: «﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال، والمراد به الشيطان، سُمِّيَ بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذي الوسواس.

والوسوسة: الصوت الخفي، ومنه وسواس الحلي.

والخناس: الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس، وهو التأخر، كالعواج والثبات»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالوسواس: فعلال من وسوس.

وأصل الوسوسة: الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه.

فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى إليه، وإما بغير صوت، كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

ومن هذا: وسوسة الحلي، وهو حركته الخفية في الأذن.

والظاهر والله أعلم أنها سميت وسوسة لقربها، وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس، وهو الأذن، فقيل: وسوسة الحلي؛ لأنه صوت مجاور للأذن، كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أذن من يوسوس له.

---

(١) «الكشاف» (٤/٣٠٢).

ولمَّا كانت الوسوسة كلامًا يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه إليه، كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها، فقالوا: وسوس وسوسة، فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه»[(١)].

وقال: «فثبت أن وسواسًا وصف لا مصدر، كثرثار، وتمتام، ودحداح، وبابه»[(٢)].

وقال: «فتعين أن «الوسواس» هو الشيطان نفسه، وأنه ذات لا مصدر، والله أعلم»[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «وأما الخناس: فهو (فَعَّال)، من خنس يخنس، إذا توارى واختفى، ومنه قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وأنا جنب، فانخنست منه»[(٤)].

وحقيقة اللفظ: اختفاء بعد ظهور، فليست لمجرد الاختفاء، ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ [التكوير: ١٥].

قالوا: وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء. و«الخناس» مأخوذ من هذين المعنيين فهو من الاختفاء والرجوع والتأخر، فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان، وانبسط عليه، وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها، فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به، انخنس وانقبض، كما ينخنس الشيء ليتوارى.

وذلك الانخناس والانقباض: هو أيضًا تجمع ورجوع، وتأخر عن القلب إلى خارج، فهو تأخر ورجوع معه إختفاء.

وجيء من هذا الفعل بوزن (فعَّال) الذي للمبالغة دون الخانس والمنخنس: إيذانًا بشدة هروبه ورجوعه، وعظم نفوره عند ذكر الله، وأن ذلك دأبه وديدنه لا أنه يعرض له ذلك

(١) «بدائع التفسير» (٥/٤٤٣).
(٢) المصدر السابق (٥/٤٤٧).
(٣) المصدر السابق (٥/٤٤٨).
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٥)، ومسلم (٣٧١).

عند ذكر الله أحيانًا، بل إذا ذكر الله هرب وانخنس وتأخر.

فإن ذكر الله هو مقمعته التي يقمع بها، كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التي تردعه من سياط وحديد وعصي ونحوها.

فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه، كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلًا ضئيلًا مضني، مما يعذبه المؤمن ويقمعه به من ذكر الله وطاعته.

وفي أثر عن بعض السلف: أن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر؛ لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر، والتوبة والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد، ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قويًا عاتيًا شديدًا.

فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته، عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلابد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه.

وتأمل كيف جاء بناء «الوسواس» مكررًا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارًا، حتى يعزم عليها العبد، وجاء بناء «الخناس» على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل؛ لأنه كلما ذكر الله انخنس، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة، فجاء بناء اللفظين مطابقًا لمعنيهما.

وقوله ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ صفة ثالثة للشيطان، فذكر وسوسته أولًا، ثم ذكر محلها ثانيًا، وأنها في صدور الناس ثالثًا.

وقد جعل الله للشيطان دخولًا في جوف العبد ونفوذًا إلى قلبه وصدره، فهو يجري منه مجرى الدم، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات»[1].

وقال: «وتأمل السر في قوله تعالى ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل: في قلوبهم، والصدر: وهو ساحة القلب وبيته، فمنه تدخل الواردات إليه، فتجتمع في الصدر

(١) «بدائع التفسير» (٥/٤٤٨: ٤٥٠) باختصار في بعض المواطن.

ثم تلج في القلب، فهو بمنزلة الدهليز له، ومن القلب تخرج الأوامر والإردات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود، ومن فهم هذا فهم قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته، فليقي ما يريد إلقاءه إلى القلب، فهو موسوس في الصدر، ووسوسته واصلة إلى القلب، ولهذا قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه: ١٢٠].

ولم يقل «فيه» لأن المعنى أنه ألقى إليه ذلك، وأوصله إليه، فدخل في قلبه»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ - في قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ -: «قوله ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس، وأنهم نوعان إنس وجن، فالجني يوسوس في صدور الإنس، والإنسيُّ أيضًا يوسوس في صدور الإنس.

فالموسوس نوعان: إنس وجن فإن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في القلب، وهذا مشترك بين الجن والإنس، وإن كان إلقاء الإنسي ووسوسته إنما هي بواسطة الأذن، والجني لا يحتاج إلى تلك الواسطة؛ لأنه يدخل في ابن آدم، ويجري منه مجرى الدم، على أن الجني قد يتمثل له، ويوسوس إليه في أذنه كالإنسي، ونظير إشتراكهما في هذه الوسوسة: إشتراكهما في الوحي الشيطاني قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]»[2].

❊ ❊ ❊

(١) المصدر السابق (٥/٤٥٩).

(٢) المصدر السابق (٥/٤٦٣، ٤٦٤) باختصار.

فصل: رجز الشيطان

قال تعالى - في شأن المسلمين يوم بدر -: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أي: من حدث أصغر أو أكبر، وهو تطهير الظاهر.

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: من وسوسة أو خاطر سيء، وهو تطهير الباطن»[١].

فصل: طائف الشيطان

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١: ٢٠٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر: أنهم إذا مسهم (أي أصابهم) طيف وقرأ الآخرون طائف.

ومنهم من فسر ذلك بالغضب.

ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه.

ومنهم من فسره بالهم بالذنب.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٥٤).

ومنهم من فسره بأصابة الذنب.

وقوله: ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ أي: عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله، ورجعوا إليه من قريب»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا ألم بهم لمم من الشيطان، من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم، تذكروا عقاب الله وثوابه، ووعده ووعيده، وأبصروا الحق فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم، وتركوا فيه طاعة الشيطان»[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتذكر: تفعل من الذكر، وهو حصول صورة من المذكور في القلب، فإذا استحضره القلب وشاهده على وجهه، أوجب له البصيرة، فالبصر ما جعل دليلًا عليه، فكان في حقه تبصرة وذكرى، والهدى مداره على هذين الأصلين: التذكر والتبصر»[٣].

فصل: همزات الشياطين

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون ٩٧، ٩٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمره الله أن يستعيذ من الشياطين؛ لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا ينقادون بالمعروف»[٤].

وقال - في قوله تعالى ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ -: «أي: في شيء من أمري

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٤٣).
(٢) «جامع البيان» (٦/١٥٥).
(٣) «بدائع التفسير» (٢/٣٢١) نقلاً عن إعلام الموقعين (١/١٩٤).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٢٠).

ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور، وذلك لطرد الشياطين عند الأكل والجماع والذبح، وغير ذلك من الأمور»[١].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين، وهمزاتها، والهمز: هو الغمز»[٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي: نزغات الشيطان الشاغلة عن ذكر الله تعالى»[٣].

قال الزمخشري: «والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي، ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثًا لها على المشي، ونحو الهمز الأز في قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه، وبالتعوذ من أن يحضروه أصلًا ويحوموا حوله»[٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذه إستعاذة من مادة الشر كله وأصله، ويدخل فيها الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان، ومن مسه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر، وأجاب دعاءه، سلم من كل شر، ووفق لكل خير»[٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهمزات الشياطين: دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب»[٦].

قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي: وإخوان الشياطين من الإنس، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، وهم أتباعهم، والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم،

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢٢٠/٣).
(٢) «جامع البيان» (٢٤١/٩).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤٨/١٢).
(٤) «الكشاف» (٤٢/٣).
(٥) «تيسير الكريم الرحمن» (٥٠٨).
(٦) «بدائع التفسير» (٢٣٦/٣).

يمدونهم في الغي (أي: تساعدهم الشياطين على المعاصي، وتسهلها عليهم، وتحسنها لهم) وقال ابن كثير: «المد: الزيادة (يعني: يزيدونهم في الغي، يعني: الجهل والسفه».

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: قيل: معناه أن الشياطين تمد الإنس، لا تقصر في أعمالهم بذلك»[(١)].

١٠ - النزغ:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة؛ فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نُهِيَ أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة؛ فإن الشيطان ينزغ في يده (أي: فربما أصابه بها)»[(٢)].

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده، فيقع في حفرة من النار**»[(٣)].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال: نزغ بيننا أي: أفسد، قاله اليزيدي، وقال غيره: النزغ الإغراء»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠].

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٤٣).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٢).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/٢٧٧).

قال ابن كثير رحمه الله - في الآية -: «قال ابن جرير: وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل، ويحملك على مجازاته»(١).

وقال: «وأصل النزغ الفساد إما بالغضب أو غيره»(٢).

وقال القرطبي رحمه الله: «ونزغ الشيطان: وساوسه»(٣).

ونقل عن الزجاج: «النزغ أدنى حركة تكون، ومن الشيطان أدنى وسوسة»(٤).

ونقل القاسمي رحمه الله عن الزمخشري قال: «النزغ والنسغ: الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. أي: فشبهت وسوسته وإغراؤه بالغرز، وهو إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبهه في الجلد، كما يفعله السائق لحث الدواب، وجعل النزغ نازغًا مجاز بالإسناد»(٥).

قال السعدي رحمه الله: «﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز به»(٦).

وقال تعالى - في شأن يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

قال ابن جرير رحمه الله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ يعني: من بعد أن أفسد ما بيني وبينهم، وجهل بعضنا على بعض»(٧).

---

(١) (٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٤٢، ٢٤٣).
(٣) (٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٣٤٧، ٣٤٨).
(٥) «محاسن التأويل» (٧/٢٩٣٠، ٢٩٣١).
(٦) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٧٦).
(٧) «جامع البيان» (٧/٣٠٧).

١١ - أمره ببتك آذان الأنعام.

١٢ - وأمره بتغيير خلق الله.

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٧ - ١١٩].

قوله تعالى: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: تشقيقها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة»(١).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: ولآمرن النصيب المفروض لي من عبادك بعبادة غيرك من الأوثان والأنداد حتى ينسكوا له، ويحرموا ويحللوا له، ويشرعوا غير الذي شرعته لهم، فيتبعوني ويخالفوك.

و«البتك» القطع، وهو في هذا الموضع: قطع أذن البحيرة ليعلم أنها بحيرة، وإنما أراد بذلك الخبيث أنه يدعوهم إلى البحيرة، فيستجيبون له، ويعملون بها طاعة له»(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا نوع من الإضلال، يقتضي تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة، والأحكام الجائرة ما هو أكبر من الإضلال»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

١ - خصي الدواب.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٧/١).

(٢) «جامع البيان» (٢٨١/٤).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (١٦٧).

٢ - الوشم.

وفي صحيح مسلم: النهي عن الوشم في الوجه، وفي لفظ «**لعن الله من فعل ذلك**»[١].

وفي الصحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عَزَّ وَجَلَّ**»[٢].

٣ - دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا كقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠]. على قول من جعل ذلك أمرًا، أي: لا تبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل مولود على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تولد البهيمة جمعاء، هل تجدون من جدعاء**»[٣].

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**»[٤]. انتهى، من «تفسير ابن كثير» باختصار[٥].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا يتناول الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر والنمص، والتفليج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقه الرحمن.

وذلك يتضمن التسخط من خلقته، والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعونه

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١١٧).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨).
(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٦٥).
(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٧/١).

بأيديهم، أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ويتناول أيضًا تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق، وإيثاره.

فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك، والكفر، والفسوق، والعصيان»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : «ومعنى ذلك: هو أن الله تعالى فطر عباده على الفطرة المستقيمة، وهي ملة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ﴾ [الروم: ٣٠، ٣١].

ولهذا قال ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، فهل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها**» ثم قرأ أبو هريرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ الآية، [الرُّوم: ٣٠] «متفق عليه»[(٢)].

فجمع ﷺ بين الأمرين: تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لابد أن يغيرهما: فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والجدع، فهذا تغيير فطرة الروح، وهذا تغيير خلقة الصورة»[(٣)].

١٣ - التسويل والإملاء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمَّد: ٢٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ﴾ أي: فارقوا الإيمان ورجعوا

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٦٧).
(٢) **صحيح**: سبق تخريجه.
(٣) «بدائع التفسير» (٢/٧٩ - ٨٠) نقلاً عن «إغاثة اللهفان».

إلى الكفر، ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زين لهم ذلك وحسنه، ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: غرهم وخدعهم»[١].

قال الزمخشري: «﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ سهل لهم ركوب العظائم، من السول وهو الاسترخاء.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ مد لهم في الآمال والأماني»[٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد بين - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: أن سبب ارتداد هؤلاء القوم من بعدما تبين لهم الهدى، هو إغواء الشيطان لهم كما قال تعالى مشيرًا إلى علة ذلك.

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زين لهم الكفر، والارتداد عن الدين.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: مد لهم في الأمل، ووعدهم طول العمر»[٣].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام! فلا يزال إبليس يثبطه ويقول: لا تعجل وتمهل في النظر، فيسوفه حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة، فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة»[٤].

١٤ - الوعد بالأماني الباطلة:

قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/١٦٠).

(٢) «الكشاف» (٣/٥٣٧) باختصار يسير.

(٣) «أضواء البيان» (٧/٥٨٤ - ٥٨٥).

(٤) «تلبيس إبليس» (٤٨٦).

وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النِّساء: ١١٧ - ١٢١].

قوله تعالى: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أزين لهم ترك التوبة، وأعدهم الأماني، وآمرهم بالتسويف والتأخير، وأغرهم من أنفسهم»(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ من التمني، وهذا لا ينحصر إلى واحد من الأمنية، لأن كل واحد في نفسه إنما يمنيه بقدر رغبته وقرائن حاله»(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا، ما ناله المهتدون، وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم، ما هم فيه من الضلال وهذا زيادة شر إلى شرهم، حيث عملوا أعمال أهل النار، الموجبة للعقوبة، وحسبوا أنها موجبة للجنة»(٣).

قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا إخبار عن الواقع، فإن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذب وافترى في ذلك»(٤).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بذلك جل ثناؤه: يعد الشيطان المريد أولياءه الذين هم نصيبه المفروض أن يكون لهم نصيرًا ممن أرادهم بسوء، وظهيرًا لهم عليه، يمنعهم منه، ويدافع عنهم، ويمنيهم الظفر على من حاول مكروههم والفلج عليهم»(٥).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿غُرُورًا﴾: قال ابن عرفة: الغرور ما رأيت له ظاهرًا تحبه وفيه

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٧/١).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٣٨٩/٥)،
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (١٦٧).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٧/١).
(٥) «جامع البيان» (٢٨٥/٤).

باطن مكروه أو مجهول، والشيطان غرور، لأنه يعمل على محاب النفس، ووراء ذلك ما يسوء»[١].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك يمنيهم الأماني الباطلة - التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له.

ولهذا قال ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾»[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ - في قوله تعالى ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ﴾ -: «فوعده: ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول، وستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأماني الكاذبة على إختلاف وجوهها، والفرق بين وعده وتمنيته أنه يعد الباطل، ويمنى المحال، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذى بوعده وتمنيته، كما قال القائل:

منى إن تكون حقًّا تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغدًا

فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة، وتفرح بها، كما يفرح النساء والصبيان ويتحركون لها، فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيه، فإن الشيطان يمني أصحابها الظفر بالحق وإدراكه، ويعدهم الوصول إليه من غير طريقة، فكل مبطل فله نصيب من قوله: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾»[٣].

١٥ - استزلاله العبد ببعض ما كسب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ [آل عِمرَان: ١٥٥].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/٣٩٥، ٣٩٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١٦٨).

(٣) «بدائع التفسير» (٢/٨٠) نقلاً عن إغاثة اللهفان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ببعض ذنوبهم السالفة، كما قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: يوم التقى جمع المشركين والمسلمين بأحد.

﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان.

«والزلة»: هي الخطيئة.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾: ببعض ما فعلوا من الذنوب»[٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «استدعى زللهم بأن ذكرهم خطايا سلفت منهم، فكرهوا الثبوت لئلا يقتلوا.

وهو معني: ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾، وقيل: ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ حملهم على الزلل، وهو (استفعل) من الزلة، وهي الخطيئة»[٣].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾: بشؤم ذنوبهم»[٤].

قال الزمخشري: «وقيل إستزلال الشيطان إياهم هو التولي، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم، لأن الذنب يجر إلى الذنب، كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة»[٥].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم «أحد»، وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم، فهم الذين أدخلوه

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣٦٠/١).
(٢) «جامع البيان» (٤٨٨/٣) باختصار يسير.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن (٢٤٣/٤، ٢٤٤).
(٤) «معالم التنزيل» (٣٦٤/١).
(٥) «الكشاف» (٤٧٣/١).

على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان»[١].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللهُ – نقلًا عن ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ –: «كانت أعمالهم جندًا عليهم، ازداد بها عدوهم قوة، فإن الأعمال جند للعبد، وجند عليه.

ولابد للعبد في كل وقت من سرية من نفسه تهزمه أو تنصره.

فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتل بها، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه.

فأعمال العبد تسوقه قسرًا إلى مقتضاها من الخير والشر، والعبد لا يشعر، أو يشعر ويتعامى.

ففرار الإنسان من عدوه – وهو يطيقه – إنما هو بجند من عمله، بعثه له الشيطان واستزله به»[٢].

١٦ – الاستحواذ:

قال تعالى – في شأن المنافقين –: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عَزَّ وَجَلَّ وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه»[٣].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: غلب عليهم الشيطان»[٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: غلب واستعلى؛ أي بوسوسته في الدنيا، وقيل: قوي عليهم،

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٢١).

(٢) «محاسن التأويل» (١٠١٣/٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢٨٧/٤).

(٤) «جامع البيان» (٢٥/١٢).

وقال المفضل: أحاط بهم، ويحتمل رابعًا: أي: جمعهم وضمهم. يقال أحوذ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، وإذا جمعهم فقد غلبهم، وقوي عليهم، وأحاط بهم»[١].

قال الزمخشري: «﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: استولى عليهم أي: ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه»[٢].



(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/٣٠٥).

(٢) «الكشاف» (٤/٧٨) باختصار.

باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه؛ لفتنة الناس

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»(١).

قال النووي رحمه الله: «ومعناه أيس يعبده أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه، فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة**»(٢).

وفي رواية: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء. ثم يبعث سراياه. فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت**»(٣).

فصل: الشيطان يحب التخاصم بين المسلمين

عن هشام بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال، فإنهما ناكبان عن الحق ماداما على صرامهما، وأولهما فيئًا يكون سبقه بالفيء كفارة له، وإن سَلَّمَ فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة، ورد على الآخر الشيطان، وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٣)، (٦٧).

جميعًا أبدًا»[١].

قوله «فإن تصارما»: من الصرم، أي تقاطعا.

فصل: الشيطان، وفتنة النساء

عن أبي الزبير عن جابر، أن رسول الله ﷺ رأى امرأة، فأتى امرأته زينب - وهي تمعس منيئة لها - فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه، فقال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه»**[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان»**[٣].

وعن ابن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «**أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يستشهد، ويحلف الرجل ولا يستحلف، فمن أحب منكم بحبحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن»**[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٠٣)، «تمعس منيئة» هو الجلد أول ما يوضع للدباغ.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة (١٦٨٥، ١٦٨٧)، والبزار (٢٠٦١)، وابن حبان (٥٥٩٩)، والطبراني (١٠١١٥)، كلهم من طرق عن قتادة عن مورق عن أبي الأحوص عن عبد الله ابن مسعود به.

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٢٢٢، ٩٢٢٣)، وعبد بن حميد (٢٣)، كلاهما من طرق عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير عن عمر به. =

= وعند النسائي (٩٢٢٢) التصريح بالسماع بين عبد الملك بن عمير وعبد الله بن الزبير.
وعبد الملك بن عمير قال فيه الحافظ في «التقريب»: (ثقة تغير حفظه ربما دلس).
وأخرجه أحمد (١/ ٢٦)، والنسائي (٩٢١٩، ٩٢٢٠، ٩٢٢١)، كلاهما من طرق عن عبد الملك ابن عمير عن جابر بن سمرة عن عمر به.
وقد ذكر الدارقطني هذا الحديث في «العلل» (٢/ سؤال ١٥٤)
وذكر وجوه الاختلاف فيه على عبد الملك بن عمير.
فرواه جماعة عنه عن جابر بن سمرة عن عمر.
ورواه جماعة عنه عن عبد الله بن الزبير عن عمر.
ورواه جماعة عنه عن رجل عن عبد الله بن الزبير عن عمر.
ورواه جماعة عنه عن قبيصة بن جابر عن عمر.
ورواه جماعة عنه عن رجاء بن حيوة عن عمر.
ورواه ابن عيينة عنه عن رجل عن عمر.
ورواه عمران أخو سفيان بن عيينة عنه عن ربعي بن حراش عن عمر.
قال الدارقطني (٢/ ١٢٥): ويشبه أن يكون الإضطراب في هذا الإسناد من عبد الملك بن عمير لكثرة اختلاف الثقات عنه في الإسناد.
ولهذا الحديث طريق أخرى عن عمر.
فقد أخرجه أحمد (١/ ١٨)، والترمذي (٢١٦٥)، والنسائي (٩٢٢٥)، والبزار (١٦٦)، وابن حبان (٧٢٥٤) كلهم من طرق عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر مرفوعاً به.
وهذا إسناد صحيح لكنه معلول بما رواه ابن الهاد عن عبد الله بن دينار عن الزهري عن عمر مرفوعاً به.
وهذا إسناد ضعيف للانقطاع بين الزهري وعمر.
وقد أخرج هذا الطريق النسائي (٩٢٢٤).
وقد صحح رواية ابن الهاد المرسلة على الرواية الأخرى كل من:
البخاري في «التاريخ» (١/ ١٠٢)، وأبو حاتم في «العلل» (٢٥٨٣)، وأبو زرعة في «العلل» (٢٦٢٩)، والدارقطني في «العلل» (٢/ ٦٨).
ولقوله: «**لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان**».
شاهد ضعيف أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٩) عن يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً به.

وفي حديث علي في ذكر حج النبي ﷺ قال: «واستفته جارية من خثعم فقالت: يا رسول الله إن أبي شيخ كبير قد أفند، وقد أدركته فريضة الحج أفيجزئ أن أن أحج عنه؟ قال: «**حجي عن أبيك**»ولوى عنق الفضل، فقال له العباس: يا رسول الله، لم لويت عنق ابن عمك؟

قال: «**رأيت شابًا وشابة، فلم آمن عليهما الشيطان**»[١].



(١) قوله «**رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الشيطان**»:
حسن بشواهده: وقد أخرج هذا الحديث أحمد (١/٧٥، ١٥٧)، وعبد الله بن أحمد (١/٧٢، ٨١)، وأبو يعلى (٣١٢، ٥٤٤)، والترمذي (٨٨٥) كلهم من طريق عبد الرحمن بن الحارث عن زيد بن علي عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي به.
وعبد الرحمن بن الحارث هو: عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة، قال فيه الحافظ في «التقريب»: (صدوق له أوهام) لكن يشهد له ما تقدم من الأحاديث في هذا الفصل.

باب: كيد الشيطان

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النِّساء: ٧٦] .

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكيد: السعي في فساد الحال على جهة الإحتيال عليه. يقال: كاده يكيده، إذا سعى في إيقاع الضرر على جهة الحيلة عليه. أفاده الرازي»[(١)].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكيد: سلوك الطرق الخفية، الذي فيه إلحاق الضرر بالعدو، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ، فإنه في غاية الضعف الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق، ولا لكيد الله لعباده المؤمنين»[(٢)].



(١) «محاسن التأويل» (١٣٩٨/٥).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١٥٢).

باب: عمل الشيطان

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[المائدة: ٩٠،٩١].

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها[١].

﴿وَٱلْأَزْلَـٰمُ﴾: قداح كانوا يستقسمون بها[٢].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ من تزيين الشيطان لكم، ودعائه إياكم إليه، وتحسينه لكم»[٣].

وقال تعالى – في شأن موسى –: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القَصَص: ١٥] .

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى حين قتل القتيل: هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هيج غضبي حتى ضربت هذا، فهلك من ضربتي»[٤].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله**

---

(١) (٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢/٨١، ٨٢).

(٣) «جامع البيان» (٥/٣٣).

(٤) المصدر السابق (١٠/٤٥).

ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ - في قوله: «**فإن لو تفتح عمل الشيطان**» -: «فالظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه، فيكون نهي تنزيه لا تحريم.

فأما من قاله تأسفًا على ما فات من طاعة الله تعالى، أو ما هو متعذر عليه من ذلك، ونحو هذا، فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث، والله أعلم»[٢].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة، فقال: «**هو من عمل الشيطان**»[٣].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «النشرة ضرب من الرقية، والعلاج يعالج به من كان يظن به مس الجن، وقيل سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه أي: يحل عنه ما خامره من الداء»[٤].

وقال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «نوع من الرقية يعالج به المجنون، ولعله كان مشتملًا على أسماء الشياطين، أو كان بلسان غير معلوم، فلذلك جاء أنها سحر، وسمى نشرة لانتشار الداء،

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢١٦/١٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٤/٣)، وأبو داود (٣٨٦٨)، من طريق وهب بن منبه عن جابر به.
وفي سماع وهب بن منبه من جابر كلام.
قال ابن معين: لم يلق جابر بن عبد الله إنما هو كتاب، وقال في موضع آخر: هو صحيفة ليست بشيء.
قال صاحب «تحفة التحصيل»: روى ابن خزيمة في صحيحه عن محمد بن يحيى عن إسماعيل بن عبد الكريم عن إبراهيم بن عقيل عن أبيه عن و هب بن منبه، قال: هذا ما سألت عنه جابر بن عبد الله، وأخبرني أن النبي ﷺ كان يقول: «**أوكوا الأسقية**........» الحديث. قال المزي: وهذا إسناد صحيح إلى وهب، وفيه رد على من قال: لم يسمع جابر.

(٤) «معالم السنن» (٢٠٤/٤).

وانكشاف البلاء به».

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لما فتح رسول الله ﷺ خيبر، أصبنا حُمُرًا خارجًا من القرية، فطبخنا منها. فنادى منادي رسول الله ﷺ ألا إن الله ورسوله ينهيانكم عنها. فإنها رجس من عمل الشيطان فأكفئت القدور بما فيها. وإنها لتفور بما فيها»(١).



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٤٠).

باب: اتباع الشيطان

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ [الحج: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ۝١٧٧﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الذي آتاه الله آياته،يحتمل أن المراد شخص معين قد كان منه ما ذكره الله، فقص الله قصته تبينًا للعباد، ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس، وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته، فانسلخ منها»[١].

قوله تعالى ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: استحوذ عليه وعلى أمره، فمهما أمره امتثل وأطاعه»[٢].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصيره لنفسه تابعًا ينتهي إلى أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن»[٣].

قال الزمخشري: «فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينًا له، أو فأتبعه خطواته»[٤].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٧٢).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٣١).

(٣) «جامع البيان» (٦/١٢٣).

(٤) «الكشاف» (٢/١٣٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾. أي: لحقه وأدركه، كما قال في قوم فرعون: ﴿فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ۝٦٠﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٠] .

وكان محفوظًا محروسًا بآيات الله محمي الجانب بها من الشيطان، لا ينال منه شيئًا إلا على غرة وخطفة، فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ العاملين بخلاف علمهم، الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه، كعلماء السوء»[1].

وقال أيضًا: «فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه، وتأمل ما تضمنته هذا الآية من ذمه وذلك من وجوه: (ثم ذكر ابن القيم عشرة أوجه منها):

«أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، ولم يقل تبعه، فإن في معنى أتبعه أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظًا ومعنى»[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٣﴾ [النِّساء: ٨٣] .

فصل: تحذير الرحمن من اتباع خطوات الشيطان

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٠٨﴾ [البَقَرَة: ٢٠٨] .

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝١٤٢﴾ [الأنعام: ١٤٢] .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ

---

(١) «بدائع التفسير» (٣٠٩/٢).

(٢) المصدر السابق (٣١٢/٢).

فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النُّور: ٢١] .

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٨] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خطوات الشيطان: وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها»(١).

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمعنى في النهى عن إتباع خطواته، النهي عن طريقه وأثره فيما دعا إليه، مما هو خلاف طاعة الله»(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا تقفوا أثر الشيطان وعمله، وما لم يرد به الشرع فهو منسوب إلى الشيطان»(٣).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي، من كفر وفسوق وظلم»(٤).

❁ عقبات الشيطان السبع

ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه وبلقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن اقتحم هذه العقبة، ونجا منها ببصيرة الهداية، وسلم معه نور الإيمان، طلبه على:

العقبة الثانية: وهي عقبة البدعة، فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة طلبه على:

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/١٧٨).
(٢) «جامع البيان» (٢/٨١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٢٠٨).
(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٦٣).

العقبة الثالثة: وهي عقبة الكبائر، فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها، طلبه على:

العقبة الرابعة: وهي عقبة الصغائر، فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ، ودوام التوبة والإستغفار، واتبع السيئة الحسنة طلبه على:

العقبة الخامسة: وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الإستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه: تفويته الأرباح، والمكاسب العظيمة والمنازل العالية، ولو عرف السعر لما فوت على نفسه شيئًا من القربات، ولكنه جاهل بالسعر، فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، وقلة المقام على الميناء، وخطر التجارة، وكرم المشتري، وقدر مايعوض به التجار، فبخل بأوقاته وضن بأنفاسه أن تذهب في غير ربح، طلبه العدو على:

العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات. فأمره بها، وحسَّنَها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبًا وربحًا؛ لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب، طمع في تخسيره كماله وفضله، ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل، والمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضى له.

فإذا نجا منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لابد منها، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله، وأنبياؤه، وأكرم الخلق عليه، وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها، فإنه كلما جد في الاستقامة والدعوة إلى الله، والقيام بأمره، جد العدو في إغراء السفهاء به»[١].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢٤٥:٢٤٨) باختصار.

باب: شياطين الإنس والجن

۞ الشياطين نوعان:

١ - شياطين الجن.

٢ - شياطين الإنس.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا﴾ أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء قبحهم الله ولعنهم»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى: وإذا لقى هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: آمنا، وأظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة غرورًا منهم للمؤمنين ونفاقًا ومصانعة وتقية، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ يعني: إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم».

قال ابن جرير: «وشياطين كل شيء مردته، ويكون الشيطان من الإنس والجن»[(٢)].

قال الزمخشري: «وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم»[(٣)].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٤٥/٢).

(٢) المصدر السابق (٤٨/١) باختصار.

(٣) «الكشاف» (١٨٤/١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا خلوا إلى شياطينهم (أي: كبرائهم ورؤسائهم بالشر)»[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٦].

فصل: إطلاق النبي ﷺ وصف الشيطان على بعض الناس؛ لالتباسهم ببعض الأفعال أو الصفات

١ - عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج، إذ عرض شاعر ينشد. فقال رسول الله ﷺ: «**خذوا الشيطان، أو امسكوا الشيطان؛ لأن يمتلئ جوف رجل قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا**»[٢].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد أن يكون الشعر غالبًا عليه، مستوليًا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان.

فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية وهو الغالب عليه، فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا؛ لأن جوفه ليس ممتلئًا شعرًا.

وأما تسمية هذا الرجل الذي سمعه ينشد شيطانًا، فلعله كان كافرًا، أو كان الشعر هو الغالب عليه، أو كان شعره هذا من المذموم، وبالجملة فتسميته شيطانًا إنما هو في قضية عين تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها، ولا عموم لها، فلا يحتج بها، والله أعلم»[٣].

٢ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراكب**

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٥٩).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٤/١٥، ١٥) باختصار.

شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب»[١].

بوب الترمذي لهذا الحديث: باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده.

وبوب ابن خزيمة: باب النهي عن سير الإثنين، والدليل على أن ما دون الثلاث من المسافرين فهم عصاة، إذ النبي ﷺ قد أعلم أن الواحد شيطان، والإثنان شيطانان، ويشبه أن يكون معنى قوله شيطان أو عاص، كقوله شياطين الإنس والجن، ومعناه: عصاة الجن والإنس.

وبوب له البيهقي: باب كراهية السفر وحده.

ونقل المناوي عن الطبري قوله: «هذا زجر أدب وإرشاد لما يخاف على الواحد من الوحشة، وليس بحرام، فالسائر وحده بفلاة، والبائت في بيت وحده، لا يأمن من الاستيحاش، لا سيما إن كان ذا فكرة رديئة، أو قلب ضعيف، والحق أن الناس يتفاوتون في ذلك، فوقع الزجر لحسم المادة، فيكره الانفراد سدًا للباب»[٢].

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلت: معناه – والله أعلم – أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان أو هو شيء يحمله عليه الشيطان ويدعوه إليه، فقيل على هذا إن فاعله شيطان، ويقال إن اسم الشيطان مشتق من الشطون، وهو البعد والنزوح، يقال بئر شطون إذا كانت بعيدة المهوى، فيحتمل على هذا أن يكون المراد أن الممعن في الأرض وحده مضاه للشيطان في فعله وتشبه اسمه. وكذلك الإثنان ليس معهما ثالث فإذا صاروا ثلاثة فهم ركب (أي جماعة وصحب) ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب أنه قال في رجل سافر

---

(١) **حسن**: أخرجه مالك ص (٩٧٨)، وأحمد (١٨٦/٢، ٢١٤)، وأبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٤٩)، كلهم من طرق عن عبد الرحمن بن حرملة عن عمرو ابن شعيب به.

وعبد الرحمن بن حرملة، قال فيه الحافظ: «صدوق ربما أخطأ».

لكن تابعه ابن عجلان كما عند ابن خزيمة (٢٥٧٠).

(٢) «فيض القدير» (٤٣/٤، ٤٤) ط. دار المعرفة.

وحده: «أرأيتم إن مات من أسأل عنه»[١].

قلت: المنفرد وحده في السفر إن مات لم يكن بحضرته من يقوم بغسله ودفنه وتجهيزه، ولا عنده من يوصي إليه في ماله، ويحمل تركته إلى أهله، ويورد خبره عليهم، ولا معه في سفره من يعينه على الحمولة، فإذا كانوا ثلاثة تعاونوا وتناوبوا المهنة والحراسة، وصلوا الجماعة، وأحرزوا الحظ منها»[٢].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «في هذا الحديث كراهية الوحدة في السفر، وأتى هذا الحديث بلفظ الراكب، ويدخل الراجل في معناه إذا كان وحده، ولم تختلف الآثار في كراهية السفر للواحد، واختلفت في الاثنين، ولم تختلف في الثلاثة فما زاد أن ذلك حسن جائز، وإنما وردت الكراهية في ذلك - والله أعلم - لأن الوحيد إذا مرض لم يجد من يمرضه، ولا يقوم عليه، ولا يخبر عنه، ونحو هذا»[٣].

ومما يشهد لهذا الحديث:

ما رواه ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «خرج رجل من خيبر، فأتبعه رجلان، وآخر يتلوهما يقول: ارجعا ارجعا حتى ردهما، ثم لحق الأول، فقال: إن هذين شيطانان، وإني لم أزل بهما حتى رددتهما، فإذا أتيت رسول الله ﷺ فأقرئه السلام، وأخبره أنَّا هاهنا في جمع صدقاتنا، ولو كانت تصلح له لبعثنا بها إليه. قال: فلما قدم الرجل المدينة، أخبر النبي ﷺ، فعند ذلك نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة»[٤].

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه عبد الرزاق (١٩٦٠٩، ٢٠٩٣٠) من طريق معمر عن قتادة قال: كره عمر بن الخطاب أن يسافر الرجل وحده، وقال أرأيت إن مات من أسأل عنه، وإسناده ضعيف للإنقطاع الظاهر بين قتادة وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) «معالم السنن» (٢/٢٢٥).

(٣) «التمهيد» (٢٠/٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/٢٧٨، ٢٩٩)، وأبو يعلى (٢٥٨٨، ٢٥٨٩)، والبزار «كشف الأستار» (٢٠٢٢)، والحاكم (٢/١٠٢).

قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ: «من الواضح أن الذي أمر الشيطانين بالرجوع كان من مؤمني =

٣ - عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، الرجل يسبني، قال النبي ﷺ: «**المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان**»[1].

«يتهاتران»: يتقابحان في القول، أو يدعي كل واحد منهما باطلًا على صاحبه، والمستهتر من لا يبالي ما قيل فيه، وما شتموه به.

قال ابن حبان رحمه الله: «أطلق ﷺ اسم الشيطان على المستب على سبيل المجاورة، إذ الشيطان دله على ذلك الفعل حتى تهاتر وتكاذب، لا أن المستبين يكونان شيطانين»[2].



= الجن، ولذلك كانت صدقاتهم لا تصلح للناس».

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٦٢/٤، ٢٦٦)، والطيالسي (١١٧٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٧، ٤٢٨).

(٢) صحيح ابن حبان (٣٥/١٣).

باب: أولياء الشيطان

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠] .

قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ : أي بدلًا عني»[(١)].

قال الزمخشري: «﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الهمزة للإنكار والتعجيب، كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول سبحانه لعباده: أنا أكرمت أباكم، ورفعت قدره، وفضلته على غيره، فأمرت ملائكتي كلهم أن يسجدوا له، تكريمًا له وتشريفًا، فأطاعوني وأبى عدوي وعدوه، فعصى أمري، وخرج عن طاعتي، فكيف يحسن بكم بعد هذا أن تتخذوه وذريته أولياء من دوني، فتطيعونه في معصيتي، وتوالونه في خلاف مرضاتي، وهم أعدى عدو لكم، فواليتم عدوي وقد أمرتكم بمعاداته، ومن والى أعداء الملك، كان هو وأعداؤه عنده سواء، فإن المحبة والطاعة لا تتم إلا بمعاداة أعداء المطاع وموالاة أوليائه، وأما أن توالي أعداء الملك ثم تدعى أنك موالٍ له، فهذا محال، هذا لو لم يكن عدو الملك عدوًا لكم، فكيف إذا كان عدوكم على الحقيقة، والعداوة التي بينكم وبينه أعظم من العداوة التي بين الشاة والذئب! فكيف يليق بالعاقل أن يوالي عدوه عدو وليه ومولاه الذي لا مولى له سواه!.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧٩/٣).

(٢) «الكشاف» (٤٨٨/٢).

ونبه سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ كما نبه على قبحها بقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ .

فتبين أن عداوته لربه وعداوته لنا، كل منهما سبب يدعو إلى معاداته، فما هذه الموالاة! وما هذا الاستبدال! بئس للظالمين بدلًا.

ويشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب، وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عقدتم بينه وبينكم عقد المصالحة»[١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النِّساء: ٧٦] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: ١١٩] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي: فقد خسر الدنيا والآخرة، وتلك خسارة لا جبر لها، ولا استدراك لفائتها»[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فعدم الإيمان، وهو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان»[٤].

---

(١) «بدائع التفسير» (١٢٢/٢) نقلاً عن «الداء والدواء» (١١٨، ١١٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤٥١/١).

(٣) المصدر السابق (٤٧٧/١).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٤٩).

وقال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠] .

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، ومن تلك الموالاة طاعتهم لهم فيما يخالف ما شرعه الله تعالى، ومع ذلك يظنون أنفسهم على هدى»[١].

وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النّحل: ٦٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: هم تحت العقوبة والنكال، والشيطان وليهم، ولا يملك لهم خلاصًا، ولا صريخ لهم، ولهم عذاب أليم»[٢].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر»[٣].

وقال تعالى - حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام -: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾[مريم: ٤٤، ٤٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ يعني: فلا يكون لك مولى ولا ناصرًا ولا مغيثًا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك»[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣، ٤].

---

(١) «أضواء البيان» (٢/٢٦٧).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٤٩٦).

(٣) «جامع البيان» (٧/٦٠٥).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٠٨).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: أتبعه وقلده»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟...» الحديث، وفيه «**ثم ينادي مناد: ألا لتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله** عَزَّ وَجَلَّ **فتتبع الشياطين والصلب أولياؤهم إلى جهنم...**»[(٢)].

فصل: تخويف الشيطان أولياءه

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس، وذوو شدة.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا عليَّ، والجأوا إليَّ، فإني كافيكم وناصركم عليهم»[(٣)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾؟ وهل يخوف الشيطان أولياءه؟ وكيف قيل إن كان معناه يخوفكم بأوليائه ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾.

قيل ذلك نظير قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ .

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٧٩/٣).

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه الحميدي (١١٧٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٥٣، ١٥٤)، وابن حبان (٤٦٤٢، ٧٤٤٥)، كلهم من طرق عن سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، والحديث أخرجه مسلم (٢٩٦٨)، ولكن بدون زيادة: «**ثم ينادي مناد ألا لتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله** عَزَّ وَجَلَّ ...» إلى آخره.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣٧١/١).

بمعنى: لينذركم بأسه الشديد، وذلك أن البأس لا ينذر، وإنما ينذر به»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : «من كيد عدو الله تعالى: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا، فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

المعنى: عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه.

قال قتادة: «يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فكلما قوي إيمان العبد، زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم»[٢].



(١) «جامع البيان» (٥٢٥/٣).

(٢) «بدائع التفسير» (٥٣٥/١، ٥٣٦)، نقلاً عن إغاثة اللهفان.

باب: إخوان الشيطان

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ أي: في التبذير والسفه، وترك طاعة الله، وارتكاب معصيته»(١).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنه يعني: إن المفرقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشيطان، وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم، وتابع أثرهم: هو أخوهم»(٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِخْوَٰنَ﴾ يعني أنهم في حكمهم، إذ المبذر ساع في إفساد كالشياطين، أو أنهم يفعلون ما تسول لهم أنفسهم، أو أنهم يقرنون بهم غدًا في النار»(٣).

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي أمثالهم في كفران نعمة المال بصرفه فيما لا ينبغي،وهذا غاية المذمة؛ لأنه لا شر من الشيطان»(٤).



(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٤).
(٢) جامع البيان (٨/ ٦٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٤٨).
(٤) محاسن التأويل (١٠/ ٣٩٢١).

باب: عبادة الشيطان

قال تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾ [النساء: ١١٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: هو الذي أمرهم بذلك وحسَّنَه وزينه لهم، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ الآية.

وقال تعالى - إخبارًا عن الملائكة أنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا -: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾»[١].

وقال تعالى - حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام مع أبيه -: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم: ٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ أي: لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك، والراضي به»[٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى عبادته للشيطان في قوله: ﴿لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ طاعته للشيطان في الكفر والمعاصي، فذلك الشرك شرك طاعة»[٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٧٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٠٨).

(٣) أضواء البيان (٤/ ٣٠٨).

الشيطان، وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن، وهو الذي خلقهم ورزقهم. ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِىۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك، واتبعتم الشيطان فيما أمركم به»[١].

فصل: يأس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»[٢].

قال النووي رحمه الله: «ومعناه: أيس يعبده أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها»[٣].



(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٩١).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٢).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٥٦).

باب: وحي الشيطان

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢، ١١٣].

قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف، وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره»(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : «عبارة عما يوسوس به شياطين الجن إلى شياطين الإنس. وسُمِيَ وحيًا؛ لأنه إنما يكون خفيةً، وجعل تمويهَهُم زخرفًا لتزيينهم إياه، ومنه سُمِيَ الذهب زخرفًا، وكل شيء حسن مموه فهو مزخرف، والمزخرف المزين»(٢).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : «أي: يزين بعضهم لبعض، الأمر الذي يدعون إليه، من الباطل، ويزخرفون له العبارات، حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني.

بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلا والباطل حقًا»(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «فذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمر الأنبياء بما يزخرفه

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٤٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٦٧).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٢).

بعضهم لبعض من القول، فيغتر به الأغمار وضعفاء العقول، فذكر السبب الفاعل والقابل، ثم ذكر سبحانه انفعال هذه النفوس الجاهلة به بصغوها وميلها ورضاها به؛ لما كسي من الزخرف الذي يغر السامع، فلما أصغت إليه ورضيته اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قوة وعملا، فتأمل هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنى العظيم القدر، الذي فيه بيان أصول الباطل، رأيتهم قد كسوها من العبارات، وتخيروا لها من الألفاظ الرائقة ما يسرع إلى قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنهم يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، والزخرف هو الكلام المزين كما يزين الشيء بالزخرف، وهو الذهب وهو الغرور؛ لأنه يغر المستمع، والشبهات المعارضة للوحي هي كلام زخرف يغر المستمع»[٢].

وقال أيضًا: «فسماه زخرفًا، وهو باطل؛ لأن صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع، ويلقيه إلى سمع المغرور، فيغتر به»[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾» أي يوسوسون، فيلقون في قلوبهم الجدال بالباطل»[٤].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية حديثًا عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢١] قال: «**خاصمهم المشركون، فقالوا: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه**»[٥].

---

(١) بدائع التفسير (٢/ ١٧٣ - ١٧٤).

(٢) ،(٣) المصدر السابق (٢/ ١٧٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٧٧).

(٥) **إسناده حسن**: أخرجه النسائي (٧/ ٢٣٧)، وابن جرير في تفسيره (١٣٨١٥)، كلاهما من طريق هارون بن أبي وكيع عن أبيه عن ابن عباس به.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات، والكشوف (التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم) لا تدل بمجردها على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسنة رسوله، فإن شهدا لها بالقبول، قبلت، وإن ناقضتهما، ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك نتوقف فيها، ولم تصدق، ولم تكذب. لأن الوحي والإلهام يكون من الشيطان، فلابد من التميز بينهما والفرقان، وبعدم التفريق بين الأمرين حصل من الغلط والضلال ما لا يحصيه إلا الله»[(١)].



(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٤).

باب: استراق الشياطين السمع من السماء

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «﴿أَفَّاكٍ﴾ أي: كذوب في قوله، وهو الأفاك.

﴿أَثِيمٍ﴾ وهو الفاجر في أفعاله، فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان ومن جرى مجراهم من الكذبة الفسقة، فإن الشياطين أيضًا كذبة فسقة»[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات: ٦ - ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك ٥].

وقال تعالى - حاكيًا عن الجن -: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨، ٩].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «انطلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم ؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٣).

قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلمَّا سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١] فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن»(١).

قال الحافظ في «الفتح»: «وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين بإعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان، فقال: «**ليس بشيء**» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحيانًا بشيء فيكون حقًا، فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة**»(٣).

قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان -قال علي: وقال غيره- صفوان ينفذهم، ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر**».

ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض «**فربما**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٣٣)، ومسلم (٤٤٩).
(٢) (٨/ ٥٤٣).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨).

أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض» وربما قال سفيان: «**حتى تنتهي إلى الأرض، فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا ؟ فوجدناه حقًا.للكلمة التي سمعت من السماء**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان. فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم. ومات رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يرمى بها بموت أحد ولا لحياته. ولكن ربنا، تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش. ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال.**

قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضًا. حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا. فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم. ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه، فهو حق. ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»(٣).

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٠١).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢١٠).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

فصل: تنزيه القرآن عن قول الشيطان

قال تعالى - في شأن كتابه العزيز -: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝﴾ [التكوير: ٢٥ - ٢٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي: لا يقدر على حمله، ولا يريده، ولا ينبغي له»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ ليس تعليم الشيطان ولا يقدر عليه، ولا يحسن منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١] فنفى فعله وابتغاءه منهم، وقدرتهم عليه. وكل من له أدنى خبرة بأحوال الشياطين والمجانين والمتهمين، وأحوال الرسل يعلم علمًا لا يماري فيه ولا يشك - بل علمًا ضروريًا كسائر الضروريات منافاة أحدهما للآخر ومضادته له، كمنافاة أحد الضدين لصاحبه.

بل ظهور المنافاة بين الأمرين للعقل أبين من ظهور المنافاة بين النور والظلمة للبصر»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾

ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ما ينبغي لهم: أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٠).

(٢) بدائع التفسير (٥/ ١٣٩).

الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا في مدة إنزال القرآن على رسول الله ﷺ؛ فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف، ولم يجد منه لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله»[١].



(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٠).

باب: أحوال الشيطان مع الأنبياء

۞ عداوته للأنبياء

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

۞ تسخير الشياطين لسليمان عليه السلام:

قال تعالى - في شأن سليمان عليه السلام -: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: في الماء يستخرجون اللآلئ والجواهر وغير ذلك.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾أي: غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره، لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه، بل هو يحكم فيهم إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم، ولهذا قال ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾»(١).

۞ افتراء الشياطين على سليمان عليه السلام وملكه

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٦٣ - ١٦٤).

وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب - من بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم لرسول الله محمد ﷺ ما تتلوه الشياطين، أي: ما ترويه، وتخبر به، وتحدثه الشياطين على ملك سليمان، وعداه بعلى لأنه تضمن تتلو تكذب»(١).

۞ مس الشيطان أيوب عليه السلام بنصب وعذاب

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤﴾ [ص: ٤١ - ٤٤].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي نسبة ما أصابه من المشقة والألم إلى الشيطان في آية «ص» هذه إشكال قوي معروف؛ لأن الله ذكر في آيات من كتابه أن الشيطان ليس له سلطان على مثل أيوب من الأنبياء الكرام، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ الآية، وقوله تعالى - عنه مقررًا له -: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

وللعلماء عن هذا الإشكال أجوبة؛ منها ما ذكره الزمخشري، قال: فإن قلت: لم نسبه إلى الشيطان، ولا يجوز أن يسلطه على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحًا إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٢١).

قلت: لمَّا كانت وسوسته إليه، وطاعته له فيما وسوس سببًا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو.

وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل»[١].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وغاية ما دل عليه القرآن: أن الله ابتلى أيوب – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – وأنه ناداه فاستجاب له، وكشف عنه كل ضر، ووهبه أهله ومثلهم معهم، وأن أيوب نسب ذلك في «ص» إلى الشيطان. ويمكن أن يكون سلطه الله على جسده وماله وأهله؛ ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه، والعلم عند الله تعالى.

وهذا لا ينافي أن الشيطان لا سلطان له على مثل أيوب، لأن التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض، وذلك يقع للأنبياء؛ فإنهم يصيبهم المرض وموت الأهل وهلاك المال لأسباب متنوعة، ولا مانع من أن يكون من جملة تلك الأسباب تسليط الشيطان على ذلك للابتلاء»[٢].

عصمة النبي ﷺ من الشيطان

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمدًا قد قتل.، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٧٤٣ – ٧٤٤).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٧٤٤ – ٧٤٥).

قال أنس: قد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[١].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**» قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «**وإياي. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم. فلا يأمرني إلا بخير**»[٢].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلًا. قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع. فقال: «**ما لك يا عائشة ! أغرت ؟**» فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أقد جاءك شيطانك؟**» قالت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟ قال: «**نعم**». قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «**نعم**».

قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «**نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم**»[٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال القاضي: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه»[٤].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عفريتًا من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع علي الصلاة، وإن الله أمكنني منه فذعته، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون (أو كلكم)، ثم ذكرت قول أخي سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي. فرده الله خاسئاً**»[٥].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ يقول: «**أعوذ بالله منك**»، **ثم قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثًا، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا. فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٢) (٢٦١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٥).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٥٨).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).

رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك.

قال: إن عدو الله، إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك. ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة. فلم يستأخر. ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله! لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة»(١).

۞ تعرض الشيطان لإبراهيم عليه السلام

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ، ثم أتي به الجمرة الوسطى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ، فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق، قال لأبيه: يا أبت، أوثقني لا أضطرب، فينتضح عليك من دمي إذا ذبحتني، فشده، فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه، نودي من خلفه:** ﴿أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ * قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات: ١٠٥](٢).

قوله: «فساخ» أي: تسفل إلى الأرض.

۞ ۞ ۞

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٤٢).

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٣٠٦) من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير به.

وفي إسناده عطاء بن السائب، وهو صدوق اختلط، ورواية حماد بن سلمة عنه قبل الإختلاط عند الجمهور.

ولكن ذكر أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام خطأ، والصواب أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

فصل

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى قوله تمنى في هذه الآية الكريمة فيه للعلماء وجهان من التفسير معروفان:

الأول: أن تمنى بمعنى: قرأ وتلا ومنه قول حسان في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تمنى كتاب الله أول ليلة ... وآخرها لاقي حمام المقادر

وقول الآخر:

تمنى كتاب الله آخر ليلة ... تمنى داود الزبور على رسل

فمعنى تمنى في البيتين: قرأ وتلا.

وفي صحيح البخاري[(١)]، عن ابن عباس أنه قال: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته: إذا

(١) أخرجه البخاري تعليقًا عن ابن عباس، كتاب التفسير، [سورة الحج]، وأخرجه ابن جرير في التفسير (٢٥٣٣٦)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق، من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
وهذا إسناد ضعيف للإنقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، قال دحيم: لم يسمع التفسير من ابن عباس، وقال أبو حاتم: على بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسل إنما يروى عن مجاهد والقاسم ابن محمد، وفي إسناده أيضًا عبد الله بن صالح، وهو ضعيف.

حدث ألقى الشيطان في حديثه، وكون تمنى بمعنى: قرأ وتلا. هو قول أكثر المفسرين.

القول الثاني: أن تمنى في الآية من التمني المعروف، وهو تمنيه إسلام أمته وطاعتهم لله ولرسله، ومفعول ألقى محذوف.

فعلى أن تمنى بمعنى: أحب إيمان أمته، وعلق أمله بذلك، فمفعول ألقى يظهر أنه من جنس الوساوس، والصد عن دين الله حتى لا يتم للنبي أو الرسول ما تمنى.

ومعنى كون الإلقاء في أمنيته على هذا الوجه: أن الشيطان يلقي وساوسه وشبهه ليصد بها عما تمناه الرسول أو النبي، فصار الإلقاء كأنه واقع فيها بالصد عن تمامها والحيلولة دون ذلك.

وعلى أن تمنى بمعنى: قرأ. ففي مفعول ألقى تقديران:

- أحدها: من جنس الأول: أي ألقى الشيطان في قراءة الرسول ﷺ أو النبي الشبه والوساوس ليصد الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه الرسول أو النبي، وعلى هذا التقدير فلا إشكال.

- وأما التقدير الثاني: فهو ألقى الشيطان في أمنيته (أي قراءته) ما ليس منها؛ ليظن الكفار أنه منها.

وقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يستأنس به لهذا التقدير»[١].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «فالذي يظهر لنا أنه الصواب، وأن القرآن يدل عليه دلالة واضحة - وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين -: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي: الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها، كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده»[٢].

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٧٢٧ - ٧٢٨).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٧٣٢).

باب: تمثل الشياطين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة ؟**» قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله.

قال: «**أما إنه قد كذبك، وسيعود**» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «**إنه سيعود**».

فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال، لا أعود. فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك ؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدةً وعيالًا، فرحمته، فخليت سبيله. قال: «**أما إنه قد كذبك، وسيعود**» فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هن ؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله. فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة**» قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «**ما هي ؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**» قال: لا، قال:

«**ذاك شيطان**» [١].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح»: «وفي هذا الحديث من الفوائد، وذكر منها:

- أن الشيطان قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها.

- وأنهم يظهرون للإنس، لكن بالشرط المذكور.

- وأنهم يتكلمون بكلام الإنس» [٢].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين (لا أدري: أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عاماً). فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشأم. فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته. حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه**» قال: سمعتها من رسول الله ﷺ.

قال: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً**».

فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور ...» الحديث [٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٢) (٤/ ٥٧١).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

فصل: الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي**»[١]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

سمع النبي ﷺ يقول: «**من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكونني**»[٢]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من رآني في النوم فقد رآني. إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي**»[٣]

فصل في الحيات

عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في بيته قال: فوجدته يصلي. فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته فسمعت تحريكا في عراجين في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إلي: أن أجلس فجلست. فلمّا انصرف أشار إلى بيت في الدار. فقال: أترى هذا البيت ؟ فقلت: نعم. قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس. قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق. فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله. فاستأذنه يومًا. فقال له رسول الله ﷺ: «**خذ عليك سلاحك. فإني أخشى عليك قريظة**» فأخذ الرجل سلاحه. ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة. فأهوى إليها الرمح ليطعنها به. وأصابته غيرة. فقالت له:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٦)(١١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٩٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٦٨).

اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني. فدخل، فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش. فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به. ثم خرج فركزه في الدار. فاضطربت عليه. فما يدرى أيهما كان أسرع موتا. الحية أم الفتى؟

قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا: ادع الله يحييه لنا. فقال: «**استغفروا لصاحبكم**» ثم قال: «**إن بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتهم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان**»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : «قوله: «**فآذنوه ثلاثة أيام. فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه. فإنما هو شيطان**».

قال العلماء: معناه: وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيوت، ولا ممن أسلم من الجن، بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه، ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم بثأره، بخلاف العوامر، ومن أسلم»(٢).

فصل في الإبل

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن الوضوء من لحوم الإبل، فقال: «**توضؤوا منها**» وسُئِل عن لحوم الغنم، فقال: «**لا توضؤوا منها**» وسُئِل عن الصلاة في مبارك الإبل، فقال: «**لا تصلوا في مبارك الإبل؛ فإنها من الشياطين**» وسُئِل عن الصلاة في مرابض الغنم، فقال: «**صلوا فيها، فإنها بركة**»(٣).

«**فإنها من الشياطين**» أي الإبل تعمل عمل الشياطين؛ لأن الإبل كثيرة الشر،

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٣٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٣٥، ٢٣٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٨)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٦، ٣٨٤)، وأبو داود (١٨٤)، (٤٩٣)، والترمذي (٨١)، وابن خزيمة (٣٢).

فتشوش قلب المصلي، وربما نفرت وهو في الصلاة، فتؤدي إلى قطعها أو أذى يحصل له منها، فبهذه الوجوه وصفت بأعمال الشياطين والجن.

قال ولي الدين العراقي: يحتمل أن يكون قوله: «**فإنها من الشياطين**»على حقيقته، وأنها أنفسها شياطين، وقد قال أهل الكوفة: إن الشيطان كل عات متمرد من الإنس والجن والدواب»[1].

عن أبي لاس الخزاعي رضي الله عنه قال: حملنا رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة ضعاف إلى الحج، قال: فقلنا له: يا رسول الله إن هذه الإبل ضعاف نخشى أن لا تحملنا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ما من بعير إلا في ذروته شيطان، فاركبوهن، واذكروا اسم الله عليهن - كما أمرتم - ثم امتهنوهن[2] لأنفسكم فإنما يحمل الله**»[3].

فصل: الكلب الأسود شيطان

عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل. فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود**»

قلت: يا أبا ذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر ؟

قال: يا ابن أخي، سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «**الكلب الأسود**

---

(١) عون المعبود (١/ ٣١٧).

(٢) قوله «امتهنوهن»، قال السندي: أي: استعملوها.

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٢١) رقم (١٧٩٣٨) - (١٧٩٣٩)، وابن خزيمة (٢٣٧٧)، (٢٥٤٣)، كلاهما من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن عمر بن الحكم ابن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي به.

وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن أحمد (١٧٩٣٩).

شيطان»[١]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب. حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله.

ثم نهى النبي ﷺ عن قتلها.

وقال: «**عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين. فإنه شيطان**»[٢].

قال النووي رحمه الله : «قوله: «**بالأسود البهيم ذي النقطتين فإنه شيطان**» معنى البهيم: الخالص السواد، وأما النقطتان فهما نقطتان معروفتان بيضاوان فوق عينيه وهذا مشاهد معروف»[٣].

قال ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد» (١٤/ ٢٢٩): «وقد قالوا إنَّ الأسود البهيم من الكلاب أكثرها أذى وأبعدها من تعليم ما ينفع ولذلك روي أن الكلب الأسود البهيم شيطان؛ أي: بعيد من المنافع قريب من المضرة والأذى. وهذه أمور لا تدرك بنظر ولا يوصل إليها بقياس وإنما ينتهى فيها إلى ما جاء عنه ﷺ».

قال البغوي رحمه الله في «شرح السنة» (١١/ ٢١٢): «قيل: جعل الأسود منها شيطانًا لخبثها؛ لأن الأسود البهيم أضرها وأعقرها، والكلب أسرع إليه منه إلى جمعيها وهي مع هذا أقلها نفعًا، وأسوؤها حراسة، وأبعدها من الصيد، وأكثرها نعاسًا».

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٠/ ٢٣٧): «وليس المراد بالحديث إخراجه عن جنس الكلاب ولهذا لو ولغ في إناء وغيره وجب غسله كما يغسل من ولوغ الكلب الأبيض».

قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٥٢): «الكلب الأسود شيطان

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥١٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٧٢).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٠/ ٢٣٧).

الكلاب والجن تتصور بصورته كثيرًا وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إعلام الموقعين» (٣/ ٣٢٨): «وأما قوله: «وفرق بين الكلب الأسود وغيره في قطع الصلاة» فهذا سؤال أورده عبد الله بن الصامت على أبي ذر، وأورده أبو ذر على النبي ﷺ، وأجاب عنه بالفرق البين فقال: «**الكلب الأسود شيطان**» وهذا إن أريد به أن الشيطان يظهر في صورة الكلب الأسود كثيرًا كما هو الواقع فظاهر، وليس بمستنكر أن يكون مرور عدو الله بين يدي المصلي قاطعًا لصلاته، ويكون مروره قد جعلَ تلك الصلاة بغيضة إلى الله مكروهة له، فيؤمر المصلي باستئنافها وإن كان المراد به أن الكلب الأسود شيطان الكلاب فإن كل جنس من أجناس الحيوانات فيها شياطين، وهي ما عتا منها وتمرد كما أن شياطين الإنس عتاتهم ومتمردوهم، والإبل شياطين الأنعام، وعلى ذروة كل بعير شيطان.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (تفسير الأنعام آية ١١٢): «وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر: أن للإنس شياطين منهم، وشيطان كل شيء مَاردُهُ، ولهذا جاء في «صحيح مسلم» عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**الكلب الأسود شيطان**» ومعناه والله أعلم: شيطان في الكلاب».

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «حاشيته على النسائي» حديث (٧٤٩): «حمله بعضهم على ظاهره، وقال: إن الشيطان يتصور بصورة الكلاب السود».

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٦٤٦١): «الكلب الأسود البهيم: أي: الذي لا شية فيه بل كله أسود خالص (شيطان) سمي شيطانًا لكونه أعقر الكلاب وأخبثها، وأقلها نفعًا، وأكثرها نعاسًا».

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ في «حاشيته على ابن ماجه» حديث (٩٥٢): «حمله بعضهم على ظاهره، وقال: إن الشيطان يتصور بصورة الكلاب السود، وقيل: هو أشد ضررًا من غيره، فسمي شيطانًا».

قال الشبلي في «آكام المرجان في أحكام الجان» (١/ ٢٦): «وقال القاضي أبو يعلى: فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ في الكلب الأسود إنه شيطان، ومعلوم أنه مولود من كلب، وكذلك قوله في الإبل: إنها جن، وهي مولودة من الإبل؟!!

وأجاب إنما قال ذلك على طريق التشبيه لها بالجن؛ لأن الكلب الأسود أشر الكلاب، وأقلها نفعًا، والإبل تشبه الجن في صعوبتها وصولتها، وهذا كما يقال: فلان شيطان، إذا كان صعبًا شريرًا».

فصل: رؤية الشياطين

قال تعالى – في شأن إبليس –: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

«سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ الآية الكريمة، هل ذلك عام لا يراهم أحد أم يراهم بعض الناس دون بعض؟

فأجاب: الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس، وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها، وليس فيه أنه لا يراهم أحد من الإنس بحال؛ بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضاً؛ لكن لا يرونهم في كل حال»(١).

قال القرطبي رحمه الله: قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون؛ لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ وقيل: جائز أن يُرَوا؛ لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى»(٢).

قال الخطابي رحمه الله – كما في الفتح(٣) –: «وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٨٦).
(٣) (٦/ ٥٣٠).

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم، وتعقب بأن نفي رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن؛ فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا، ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة، ويحتمل العموم.

وهذا الذي فهمه أكثر العلماء حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته».

فصل: رؤية النبي ﷺ الشياطين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عفريتا من الجن جعل يفتك عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة. وإن الله أمكنني منه فذعته. فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد. حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون (أو كلكم) ثم ذكرت قول أخي سليمان:** ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فرده الله خاسئاً»[١].

وعن أبي الدرداء؛ قال: قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول: «**أعوذ بالله منك**»، ثم قال: «**ألعنك بلعنة الله**» ثلاثا، وبسط يده كأنه يتناول شيئا، فلمَّا فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك. قال: «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك. ثلاث مرات. ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة. فلم يستأخر. ثلاث مرات. ثم أردت أخذه، والله: لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»[٢]

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»:[٣] «وفهم ابن بطال وغيره منه أنه كان حين عرض له

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٤٢).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٦٦١).

غير متشكل بغير صورته الأصلية، فقالوا: إن رؤية الشيطان على صورته التي خلق عليها خاص بالنبي ﷺ، وأما غيره من الناس: فلا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾... الآية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قوله ﷺ: «**فلقد هممت أن أربطه حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون كلكم**»فيه دليل على أن الجن موجودون، وأنهم قد يراهم بعض الآدميين، وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فمحمول على الغالب، فلو كانت رؤيتهم محالًا لما قال النبي ﷺ ما قال من رؤيته إياه، ومن أنه كان يربطه لينظروا كلهم إليه ويلعب به ولدان أهل المدينة.

قال القاضي: وقيل: إن رؤيتهم على خلقهم وصورهم الأصلية ممتنعة – لظاهر الآية – إلا للأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – ومن خرقت له العادة، وإنما يراهم بنو آدم في صور غير صورهم كما جاء في الآثار،

قلت: هذه دعوى مجردة، فإن لم يصح لها مستند فهي مردودة.

قال الإمام أبو عبد الله المازري: الجن أجسام لطيفة روحانية، فيحتمل أنه تصور بصورة يمكن ربطه معها ثم يمتنع من أن يعود إلى ما كان عليه حتى يتأتى اللعب به، وإن خرقت العادة أمكن غير ذلك»[(١)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وفي الحديث دليل على إمكان ربط الشيطان وحبسه وإيثاقه، وعلى جواز ربطه في المسجد، كما يربط الأسير فيه، وعلى جواز رؤية غير الأنبياء للجن والشياطين، وتلاعب الصبيان بهم.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فإنه خرج على الأعم الأغلب، وليس المراد به نفي إمكان رؤيتهم.

وقد ظن بعض الناس أنه دال على ذلك، فقال: من ادَّعَى رؤيتهم فسق، وقد رآهم أبو

(١) (٥/ ٢٠١).

هريرة وغيره من الصحابة»[١].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**راصُّوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفس محمد بيده إني لأرى الشياطين تدخل من خلل الصف كأنها الحذف**[٢]»[٣].



(١) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٣٩٨ - ٣٩٩).

(٢) قوله «الحذف» قال ابن الأثير في النهاية: هي الغنم الصغار الحجازية، واحدتها حذفة بالتحريك. وقيل: هي صغار جرد ليس لها آذان ولا أذناب، يجاء بها من جرش اليمن.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٠، ٢٨٣)، وأبو داود (٦٦٧)، والنسائي (٢/ ٩٢)، وابن خزيمة (١٥٤٥)، كلهم من طرق عن أبان بن يزيد عن قتادة عن أنس مرفوعًا به.
وهذا إسناد صحيح، وقد صرح قتادة بالتحديث عند أحمد (٣/ ٢٦٠)، والنسائي.

باب: صياح الشيطان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ولمَّا كان يوم أحد هزم المشركون، فصاح إبليس: أي عباد الله، أخراكم. فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله، أبي أبي، فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه. فقال حذيفة: غفر الله لكم»[١].

وفي رواية: «فصرخ إبليس»[٢].

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»: «قوله لمَّا كان يوم أحد هزم المشركون، «فصرخ إبليس أي عباد الله أخراكم»أي: احترزوا من جهة أخراكم، وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه، وكان ذلك لما ترك الرماة مكانهم، ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين.

قوله: «فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم» أي: وهم يظنون أنهم من العدو، وأنهم لمَّا رجعوا اختلطوا بالمشركين، والتبس العسكر فلم يتميزوا، فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق: أو بدابق. فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله: لا والله !لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله،**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٩٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٦٥).

(٣) (٧/ ٤٢٠).

ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذا صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمهم فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته»[1].



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

باب: النجوى من الشيطان

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءًا ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي ليسوءهم، وليس ذلك بضارهم شيئًا إلا بإذن الله، ومن أحس من ذلك شيئًا فليستعذ بالله، وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله.

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما؛ فإن ذلك يحزنه**»أخرجاه[1].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه؛ فإن ذلك يحزنه** انفرد بإخراجه مسلم[2]»[3].

قال الزمخشري: «﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان، بدليل قوله تعالى: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والمعنى: أن الشيطان يزينها لكم، فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم، وليس الشيطان أو الحزن ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾»[4].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٢) **صحيح**: وقد أخرجه البخاري أيضًا (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٨٤) باختصار.

(٤) الكشاف (٤/ ٧٥).

ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الحزن موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان: أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه»[٢].



(١) طريق الهجرتين ص(٣٤٤).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٤٢).

باب: تشقيق الكلام من الشيطان

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدم رجلان من المشرق خطيبان على عهد رسول الله ﷺ فقاما فتكلما، ثم قعدا، وقام ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ فتكلم ثم قعد، فعجب الناس من كلامهم، فقام النبي ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، فإنما تشقيق الكلام من الشيطان**»

قال النبي ﷺ «**إن من البيان سحراً**»[1].

«تشقيق الكلام» أي: التطلب فيه ليخرجه أحسن مخرج[2].



(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٧٥) من طريق أبي عامر العقدي عن زهير بن محمد التميمي عن زيد بن أسلم عن ابن عمر به.

والحديث في البخاري (٥١٤٦)، (٥٧٦٧)، لكن بدون زيادة: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، فإنما تشقيق الكلام من الشيطان».

(٢) النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٩٢).

باب: الشيطان ونوم الإنسان

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة. فإن توضأ انحلت عقدة. فإن صلى انحلت عقدة؛ فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[١]

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وظاهر قوله: «أَحَدِكُمْ» التعميم في المخاطبين ومن في معناهم، ويمكن أن يخص منه من تقدم ذكره، ومن ورد في حقه أنه يحفظ من الشيطان كالأنبياء، ومن تناوله قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ وكمن قرأ آية الكرسي عند نومه، فقد ثبت أنه يحفظ من الشيطان حتى يصبح»[٢].

٢- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال في أذنه**»[٣]

وفي رواية: ذكر عند النبي ﷺ رجل، فقيل: ما زال نائمًا حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: «**بال الشيطان في أذنه**»[٤]

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح»: «قوله ما قام إلى الصلاة المراد الجنس، ويحتمل العهد، ويراد به صلاة الليل أو المكتوبة.

ويؤيده رواية سفيان هذا عندنا نام: «عن الفريضة» أخرجه ابن حبان في صحيحه»[٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).
(٢) فتح الباري (٣/ ٣١).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤).
(٤) أخرج هذه الرواية البخاري (١١٤٤).
(٥) (٣/ ٣٥).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلف في بول الشيطان، فقيل هو على حقيقته، قال القرطبي وغيره: لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه؛ لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع من أن يبول»(١)

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبيت على خياشيمه**»

أخرجه البخاري ومسلم(٢):

ولفظ البخاري: «**إذا استيقظ من منامه فتوضأ فليستنثر، ثلاثًا فإن الشيطان يبيت على خيشومه**»

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح»: «ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم، ويحتمل أن يكون مخصوصًا بمن لم يحترس من الشيطان بشيء من الذكر»(٣)

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال العلماء: الخيشوم أعلى الأنف، وقيل: هو الأنف كله، وقيل: هي عظام رقاق لينة في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، وقيل غير ذلك، وهو إختلاف متقارب المعنى»(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واقتران الشيطان بالمحال التي تلابسها، فإن الشيطان خبيث يناسبه الخبائث، فإذا نام العبد لم ير في ظاهر جسده أوسخ من خيشومه، فيستوطنه في المبيت»(٥).

٤ – عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: عرسنا مع النبي ﷺ فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس.

(١) (٣/ ٣٥).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٩٥)، ومسلم (٢٣٨).
(٣) (٦/ ٣٩٥).
(٤) شرح صحيح مسلم (٣/ ١٢٧).
(٥) «جامع الفقه» لابن القيم (١/ ٨٤) جمع: يسري السيد محمد.

فقال النبي ﷺ: «**ليأخذ كل رجل برأس راحلته، فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان**»

قال: ففعلنا، ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدتين، ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة»[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله: «فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان»فيه دليل على استحباب اجتناب مواضع الشيطان، وهو أظهر المعنيين في النهي عن الصلاة في الحمام.

«عرسنا» والتعريس نزول المسافرين آخر الليل للنوم والإستراحة»[٢].

٥ - وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل**» قال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس يسبح أحدكم في دبر كل صلاة عشرًا ويحمد عشرًا ويكبر عشرًا فهي خمسون ومائة في اللسان وألف وخمسمائة في الميزان**» وأنا رأيت رسول يعقدهن بيده وإذا أوى أحدكم إلى فراشه أو مضجعه سبح ثلاثًا وثلاثين وحمد ثلاثًا وثلاثين وكبر أربعًا وثلاثين فهي مائة على اللسان وألف في الميزان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فأيكم يعمل في كل يوم وليلة ألفين وخمسمائة سيئة**» قيل يا رسول الله وكيف لا نحصيهما فقال: «**إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في صلاته فيقول اذكر كذا، ويأتيه عند منامه فينيمه**»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٨٠) (٣١٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/ ١٨٢).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٤)، وأبو داود (٥٠٦٥)، كلاهما من طريق شعبة.
وأخرجه النسائي (٣/ ٧٤)، وابن حبان (٢٠١٨)، كلاهما من طريق حماد بن زيد.
وأخرجه عبد الرزاق (٣١٨٩) عن الثوري.
ثلاثتهم شعبة والثوري وحماد، عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو به.
وثلاثتهم سمعوا من عطاء قبل الإختلاط.
وللحديث طرق أخرى عن عطاء، أخرجها أحمد (٢/ ١٦٠)، والحميدي (٥٨٣)، والبخاري =

فصل: الحلم من الشيطان

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي قطع، فأنا أتبعه، فزجره النبي ﷺ وقال: «**لا تُخبر بتلعُب الشيطان بك في المنام**»[1].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الرؤيا من الله، والحُلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها فإنها لا تضره**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبُشرى من الله، فمن رأى شيئًا يكرهه فلا يقصه على أحد، وليقم فليصل**».

وعند مسلم: «**ورؤيا تحزين من الشيطان**»[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره**»[4].

= في الأدب المفرد (١٢١٦)، والترمذي (٣٤١٠)، وابن ماجه (٩٢٦)، وعبد بن حميد (٣٥٦)، وابن حبان (٢٠١٢).

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٦٨)، (١٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٨٥).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»[١].

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»: «وأما التفل فقال عياض: أمر به طردًا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرًا له واستقذارًا، وخصت به اليسار؛ لأنها محل الأقذار ونحوها. قلت: والتثليث للتأكيد.

وقد ورد بثلاثة ألفاظ: النفث، والتفل، والبصق.

وقال النووي أيضاً: أكثر الروايات في الرؤيا: «**فلينفث**»، وهو نفخ لطيف بلا ريق، فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازاً»[٢].



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٦٢).
(٢) (١٢/ ٣٨٧) باختصار.

باب: أحوال الشيطان مع المصلين

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب للصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى**»(١).

وفي رواية: «**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط، حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس**»(٢).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وضراط الشيطان محمول على ظاهره عند كثير من العلماء، ومنهم من تأوله، ولا حاجة إلى ذلك»(٣).

وقال أيضاً: «وقد قيل في سر ذلك: أن المؤذن لا يسمعه جن ولا إنس إلا شهد له يوم القيامة، فيهرب الشيطان من سماع الأذان ويضرط، حتى يمنعه ضراطه من استماعه، حتى لا يكلف الشهادة به يوم القيامة»(٤).

٢- عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يُقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩) [١٩].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٨٩).

(٣) «فتح الباري» (٣/ ٤٢٦).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٤٢٧) باختصار يسير.

قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني»[١].

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبَّس عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا شكَّ أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى، ثلاثًا أم أربعاً؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يُسلم، فإن كان صلى خمسًا، شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتمامًا لأربع، كانتا ترغيمًا للشيطان**»[٣].

قوله: «**جاءه الشيطان فلبَّس**» أي: «خلط عليه صلاته، وشوشها عليه، وشككه فيها»[٤].

وقوله: «**كانتا ترغيمًا للشيطان**» أي: إغاظة له وإذلالًا، مأخوذ من الرغام، وهو التراب، ومنه: أرغم الله أنفه»[٥].

٤- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ : حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم إذا كان في الصلاة جاء الشيطان، فأبس به كما يبس الرجل بدابته، فإذا سكن له أضرط بين أليتيه ليفتنه عن صلاته، فإذا وجد أحدكم شيئًا من ذلك، فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا لا يشك فيه**»[٦].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٢٣٢)، ومسلم (٣٨٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٧١).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٥٧).

(٥) المصدر السابق (٥/ ٦٠).

(٦) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠)، وهذا إسناد حسن من أجل الضحاك بن عثمان، وله شواهد.

قوله: «**فأبس به**» قال السندي: «من الإبساس: وهو التلطف بالدابة بأن يقال لها: بس بس، تسكينًا لها».

٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[(١)].

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»: «والمراد بالالتفات المذكور ما لم يستدبر القبلة بصدره أو عنقه كله، وسبب كراهة الالتفات يحتمل أن يكون لنقص الخشوع، أو لترك استقبال القبلة ببعض البدن».

قوله: «**هو اختلاس**» أي: اختطاف بسرعة.

فلمَّا كان الشيطان قد يشغل المصلي عن صلاته بالالتفات إلى شيء ما بغير حجة يقيمها أشبه المختلس»[(٢)].

وقال ابن رجب رحمه الله : «وقوله: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**» يعني: أن الشيطان يسترق من العبد في صلاته التفاته فيها، ويختطفه منه اختطافًا حتى يدخل عليه بذلك نقص في صلاته وخلل»[(٣)].

٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾، وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع، لم يسجد حتى يستوي قائمًا، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي جالسًا، وكان يقول في كل ركعتين «التحية»، وكان يفرش رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١).
(٢) (٢/ ٢٧٤) باختصار.
(٣) «فتح الباري» لابن رجب (٤/ ٤٠٠ - ٤٠١).

الصلاة بالتسليم»[١].

قولها: «وكان ينهي عن عقبة الشيطان».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وفسره أبو عبيدة وغيره بالإقعاء المنهي عنه، وهو أن يلصق أليتيه بالأرض وينصب ساقيه، ويضع يديه على الأرض كما يفرش الكلب وغيره من السباع»[٢].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهو مكروه باتفاق العلماء بهذا التفسير الذي ذكرناه»[٣].

٧- عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه، وليدرأه ما استطاع، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان**»[٤].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم يصلي، فلا يدع أحدًا يمر بين يديه، فإن أبى فليقاتله، فإن معه القرين**»[٥].

٨- عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**راصوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفس محمد بيده، إني لأرى الشياطين تدخل من خلل الصف كأنها الحذف**» [٦].

وعن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أقيموا صفوفكم، لا يتخللكم كأولاد الحذف**». قيل: يا رسول الله، وما أولاد الحذف؟ قال: «**سود جرد تكون بأرض اليمن**»[٧].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٩٨).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (٤/ ٢١٤).
(٣) المصدر السابق (٤/ ٢١٥).
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩)، ومسلم (٥٠٥).
(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٠٦).
(٦) **صحيح**: سبق تخريجه.
(٧) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٦)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٥١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أقيموا الصفوف، فإنما تصفون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا في أيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشياطين، ومن وصل صفًا، وصله الله تبارك وتعالى، ومن قطع صفًا، قطعه الله تبارك وتعالى**»[١].

«الحذف»: قال ابن الأثير في «النهاية»: هي الغنم الصغار الحجازية، واحدتها حذفة بالتحريك.



(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٩٧).

باب: مزامير الشيطان

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث. قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ - وذلك في يوم عيد - فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**»[(١)].

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»: «مزمارة الشيطان»: وإضافتها إلى الشيطان من جهة أنها تلهي، فقد تشغل القلب عن الذكر.

قال القرطبي: المزمور الصوت، ونسبته إلى الشيطان ذم على ما ظهر لأبي بكر»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: «فلم ينكر رسول الله ﷺ على أبي بكر تسميته الغناء مزمار الشيطان»[(٣)].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الجرس مزامير الشيطان**»[(٤)].

٣- عن السائب بن يزيد: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا عائشة أتعرفين هذه؟**» قالت: لا يا نبي الله، فقال: «**هذه قينة بني فلان، تحبين أن تغنيك؟**» قالت: نعم. قال: فأعطاها طبقًا فغنتها، فقال النبي ﷺ: «**قد نفخ الشيطان في منخريها**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٩٥٢)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) (٢/ ٥١٢) باختصار.

(٣) «إغاثة اللهفان».

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١١٤).

(٥) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٠)، ورواية النسائي بدون قوله: «**فأعطاها طبقاً**»، **وقوله**: «**قد نفخ الشيطان في منخريها**».

قال السندي: «قوله: «**قينة بني فلان**» أي: جاريتهم المغنية.

«**أن تغنيك**» بالتشديد، وفيه جواز ذلك على قلة من غير عرس وعيد، كما يجوز فيهما، ويحتمل أنها كانت أيام عيد.

«**قد نفخ**»: أي فلذلك اتخذت ذلك عادة».

فصل في النواح

عن أم سلمة قالت: لمَّا مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة لأبكينه بكاءً يتحدث عنه. فكنتُ قد تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تسعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: «**أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتًا أخرجه الله منه؟**» – مرتين – فكففتُ عن البكاء فلم أبك»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : «قولها: «غريب وفي أرض غربة» معناه: أنه من أهل مكة ومات بالمدينة.

«أقبلت امرأة من الصعيد» المراد بالصعيد هنا عوالي المدينة.

«تسعدني» أي: تساعدني في البكاء والنواح»[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٢).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٢٢٤).

باب: طعام الشيطان

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»(٢).

٢- عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ، فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذتُ بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذتُ بيده، والذي نفسي بيده، إن يده في يدي مع يدها**»(٣).

قال النووي رحمه الله: «قوله: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه**» معنى يستحل: يتمكن من أكله، ومعناه: أنه يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله تعالى، وأما إذا لم يشرع فيه أحد فلا يتمكن، وإن كان جماعة فذكر اسم الله بعضهم دون بعض لم يتمكن منه.

ثم الصواب الذي عليه جماهير العلماء من السلف والخلف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، أن هذا الحديث وشبهه - من الأحاديث الواردة في أكل الشيطان - محمولة على ظاهرها، وأن الشيطان يأكل حقيقة، إذ العقل لا يحيله، والشرع لم ينكره، بل أثبته،

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠١٩).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٢٠).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠١٧).

فوجب قبوله واعتقاده، والله أعلم»[١].

٣- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث. قال: «**إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان**» [٢].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه؛ فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة**» [٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه**» فيه التحذير منه، والتنبيه على ملازمته للإنسان في تصرفاته، فينبغي أن يتأهب ويحترز منه»[٤].



(١) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٨٩، ١٩٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٣٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٣٣)، [٣٥].

(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ٢٠٥).

باب: فراش الشيطان

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «**فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان**» [(١)].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يضاف إلى الشيطان؛ لأنه يرتضيه، ويوسوس به، ويحسنه ويساعد عليه.

وقيل: إنه على ظاهره، وأنه إذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل، كما أنه يحصل له المبيت بالبيت الذي لا يذكر الله تعالى صاحبه عند دخوله عشاء»[(٢)].



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٨٤).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٥٩).

باب: فرس الشيطان

عن رجل من الأنصار عن النبي ﷺ قال: «**الخيل ثلاثة، ففرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان. فأما فرس الرحمن: فالذي يُربط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله، وذكر ما شاء الله، وأما فرس الشيطان: فالذي يقامر أو يُراهن عليه، وأما فرس الإنسان: فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهي تستر من فقر**» (١).



(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٩٥) قال: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا الركين عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من الأنصار به. وهذا إسناد صحيح.

باب: الشيطان ينسي العبد ما فيه المصلحة

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال تعالى - حاكياً عن يوسف -: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ يقول: اذكر قصتي عند ربك وهو الملك، فنسي ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن»[١].

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنساء؟ قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل من قلبه ذكره، وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

وقال تعالى - حاكيًا عن موسى وفتاه -: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه آيات أُخر»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر قبل أن تبان له، فلما انقضين أمر بالبناء فقوض، ثم أبينت له أنها في العشر الأواخر، فأما بالبناء فأعيد، ثم خرج على الناس فقال: «**يا أيها الناس! إنها**

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤١٤).

(٢) «الكشاف» (٢/ ٣٢٢).

(٣) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٠).

كانت أبينت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها، فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان، فنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»[1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**رجلان يحتقان**»، معناه يطلب كل واحد منهما حقه، ويدعي أنه المحق، وفيه أن المخاصمة والمنازعة مذمومة، وأنها سبب للعقوبة المعنوية»[2].



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٦٧) (٢١٧).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٦٣).

باب: خوف الشيطان من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قُمن يبتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك**»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «هذا الحديث محمول على ظاهره، وأن الشيطان يهرب إذا رآه»(٢).

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن أمة سوداء أتت رسول الله ﷺ وقد رجع من بعض مغازيه، فقالت: إني كنت نذرت إن ردك الله صالحًا أن أضرب عندك بالدف، قال: «**إن كنت فعلت، فافعلي، وإن كنت لم تفعلي، فلا تفعلي**»، فضربت، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ودخل غيره وهي تضرب، ثم دخل عمر قال: فجعلت دفها خلفها، وهي مقنعة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان ليفرق منك يا عمر، أنا جالس ودخل هؤلاء، فلما أن دخلت، فعلت ما فعلت**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٦٥).

(٣) قوله: «**إن الشيطان ليخاف منك يا عمر**» [صحيح لشواهده].

أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣)، والترمذي (٣٦٩٠)، والبيهقي (١٠/ ٧٧)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩) مختصرًا، كلهم من طرق عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به.

وقد قال الإمام أحمد: ما أنكر حديث حسين بن واقد عن ابن بريدة، لكن يشهد له ما =

وعن عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله ﷺ جالسًا، فسمعنا لغطًا وصوت صبيان، فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشية تزفن والصبيان حولها، فقال: «**يا عائشة تعالى فانظري**»، فجئت، فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: «**أما شبعت؟**» قالت: فجعلت أقول: لا؛ لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر، قال: فارفض الناس عنها. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر**»(١).

«حبشية» أي: جارية أو امرأة منسوبة إلى الحبش.

«تزفن» أي: ترقص وتلعب.



= أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، وقد تقدم.

ويشهد له أيضًا حديث عائشة مرفوعاً: «**إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر**» وسيأتي إن شاء الله تعالى.

(١) قوله: «**إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر**» [صحيح لشواهده].

أخرجه الترمذي (٣٦٩١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٥٧)، وفي إسناده خارجة بن عبد الله بن سليمان، وهو ضعيف، لكن يشهد له حديث سعد، وحديث بريدة.

باب: أجار الله عمارا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الشيطان

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ : حدثنا يحيى بن جعفر، حدثنا يزيد عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال: ذهب علقمة إلى الشام، فأتى المسجد فصلى ركعتين، فقال: اللهم ارزقني جليسًا، فقعد إلى أبي الدرداء، فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة أليس فيكم؟ أو كان فيكم الذي أجاره الله على لسان رسوله ﷺ من الشيطان؟ - يعني عمارًا - أوليس فيكم صاحب السواك والوساد؟ - يعني ابن مسعود -»[1].



(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٢٧٨).

باب: النهي عن التشبه بالشيطان

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»(١).

وفي رواية: وكان نافع يزيد فيها: «**ولا يأخذ بها، ولا يعطي بها**»(٢).

قال النووي رحمه الله: «وفيه أنه ينبغي اجتناب الأفعال التي تشبه أفعال الشياطين»(٣).



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) مسلم (٢٠٢٠) (١٠٦).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٩٢).

باب: النهي عن سب الشيطان

عن رجل قال: «كنت رديف النبي ﷺ، فعثُرت دابته، فقلت: تعس الشيطان. فقال: **«لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب»**[١].

«تعس» أي: هلك، ومثل هذا الكلام يوهم أن للشيطان دخلًا في مثل ذلك[٢].



(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٨٨)، (١٠٣٩٠)، والحاكم (٤/ ٢٩٢)، كلهم من طرق عن خالد الحذاء عن أبي تميمة عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ به.
وهذا إسناد صحيح، والصحابي المبهم، بين في رواية محمد بن حمران، فأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣٨٩)، والطحاوي في «المشكل» (٣٦٨)، والحاكم (٤/ ٢٩٢)، كلهم من طريق محمد بن حمران عن خالد الحذاء عن أبي تميمة عن أبي المليح عن أبيه به.
ومحمد بن حمران قال فيه الحافظ في «التقريب»: «صدوق فيه لين»، وقد خطأ النسائي رواية محمد ابن حمران هذه.

(٢) «عون المعبود» (١٣/ ٣٢٧).

باب: التحصينات والحروز من الشيطان الرجيم

١- لزوم الصراط المستقيم:

عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذه سُبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾»[١].

٢- لزوم الجماعة:

عن ابن الزبير ﵁ قال: سمعت عمر بن الخطاب يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «**أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يستشهد، ويحلف الرجل ولا يستحلف، فمن أحب منكم بحبحة الجنة؛ فيلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان، ومن سرته حسنته وساءته سيئته؛ فهو مؤمن**»[٢].

وعن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس فقال: «**سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر أمة محمد ﷺ كائنًا من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض**»[٣].

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه النسائي (٧/ ٩٢) من طريق يزيد بن مردانبة عن زياد بن علاقة عن عرفجة به. والحديث في مسلم (١٨٥٢)، لكن بدون زيادة: «**فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض**».

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: كان النبي ﷺ إذا نزل منزلًا فعسكر تفرقوا عنه في الشعاب والأودية، فقام فيهم فقال: «**إن تفرقكم في الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**»، فكانوا إذا نزلوا بعد ذلك انضم بعضهم إلى بعض، حتى إنك لتقول: لو بسطت عليهم كساء لعمتهم»[١].

قوله: «**من الشيطان**» قال السندي: فإنه الذي يرضى بالتفرق بين المسلمين حتى يمكن العدو من أن ينال بعضهم بمكروه.

٣- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

صفة الاستعاذة:

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه، وهو قول القارئ: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء في التعوذ؛ لأنه لفظ كتاب الله تعالى»[٢].

معنى الاستعاذة:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٩٣)، وأبو داود (٢٦٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٥٦)، وابن حبان (٢٦٩٠).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٨٦- ٨٧).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن لفظة «عاذ» وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والنجاة، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذًا، كما يسمى ملجأ ووزرًا.

وفي الحديث: أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي ﷺ فوضع يده عليها قالت: «أعوذ بالله منك»، فقال لها: «**لقد عُذت بمعاذ، الحقي بأهلك**»[١].

فمعنى «**أعوذ**»: ألتجئ وأعتصم وأتحرز.

وفي أصله قولان:

أحدهما: أنه مأخوذ من الستر.

والثاني: أنه مأخوذ من لزوم المجاورة.

فأما من قال: إنه من الستر، فقال: العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة التي قد استتر بها «عُوَّذ» بضم العين وتشديد الواو وفتحها، فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها سموه عوذًا، فكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه واستجن به منه.

ومن قال: هو لزوم المجاورة، قال: العرب تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه «عوذ»؛ لأنه اعتصم به، واستمسك به، فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به، واعتصم به، ولزمه. والقولان حق، والاستعاذة تنتظمهما معًا.

فإن المستعيذ مستتر بمعاذه، مستمسك به، معتصم به، قد استمسك قلبه به ولزمه، كما يلزم الولد أباه إذا أشهر عليه عدوه سيفًا وقصده به، فهرب منه، فعرض له أبوه في طريق هربه، فإنه يلقى نفسه عليه، ويستمسك به أعظم استمساك، فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به والتجأ إليه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٥٤).

وبعد؛ فمعنى الاستعاذة القائم بقلب المؤمن وراء هذه العبارات، وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه: أمر لا تحيط به العبارة»[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومن لطائف الاستعاذة: أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة ولا يداري بالإحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾، وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري، فمن قتله العدو الظاهر البشري كان شهيدًا، ومن قتله العدو الباطني كان طريدًا، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورًا، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونًا أو موزورًا، ولمَّا كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان»[٢].

۞ ومن المواطن التي يُستحب فيها الاستعاذة من الشيطان الرجيم

أولًا: الاستعاذة عند تلاوة القرآن في الصلاة وغيرها:

استحباب الاستعاذة:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها»[٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكان ابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في الصلاة في كل ركعة، ويمتثلون أمر الله في الاستعاذة على العموم، وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في

(١) «بدائع التفسير» (٥/ ٣٧٦- ٣٧٧).

(٢) (٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٦).

الركعة الأولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة؛ ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان»[١].

الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها ومعنى الآية عندهم: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أي: إذا أردت القراءة كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ الآية أي: إذا أردتم القيام»[٢].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه ﷺ إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، وهذا أمر ندب ليس بواجب. حكى الإجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة.

والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر.

ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة»[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فأمر سبحانه بالاستعاذة به من الشيطان عند قراءة القرآن. وفي ذلك وجوه:

١ – منها: أن القرآن شفاء لما في الصدور، يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب، ليصادف الدواء محلًا خاليًا، فيتمكن منه ويؤثر فيه.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٨٦).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٥).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٥٠٦).

كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب قد خلا من مزاحم ومضاد له فينجع فيه.

٢- ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولًا فأولًا، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعيذ بالله ﷻ منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن.

٣- ومنها: أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن، وتستمع لقراءته، كما في حديث أُسيد ابن حُضير[1] لما كان يقرأ، ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح فقال ﷺ: «**تلك الملائكة**»، والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القاريء أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه حتى يحضره خاص ملائكته، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

٤- ومنها: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله ﷻ منه.

٥- ومنها: أن القارئ يناجي الله تعالى بكلامه، والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء، فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى، واستماع الرب قراءته.

٦- ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، والسلف كلهم على أن المعنى: «إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته».

قال الشاعر في عثمان:

تمنى كتاب الله أول ليلة ... وآخره لاقي حمام المقادر

فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم السلام فكيف بغيرهم!

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠١٨) تعليقًا، ومسلم (٧٩٦).

ولهذا يغلط القارئ تارة، ويخلط عليه القراءة ويشوشها عليه، فيخبط عليه لسانه أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا، أو هذا، وربما جمعهما له، فكان من أهم الأمور: الاستعاذة بالله تعالى منه.

٧- **ومنها**: أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير، أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**إنَّ شيطانًا تفلت عليَّ البارحة، فأراد أن يقطع عليَّ صلاتي...**» [١]. الحديث.

وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى، كان اعتراض الشيطان له أكثر.

٨- **ومنها**: أن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتى به بعدها القرآن، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره، بل الاستعاذة مقدمة وتنبيه للسامع أن الذي يأتي بعدها هو التلاوة، فإذا سمع السامع الاستعاذة استعد لاستماع كلام الله تعالى، ثم شرع ذلك للقارئ وإن كان وحده لما ذكرنا من الحكم وغيرها.

فهذه بعض فوائد الاستعاذة»[٢].

ثانيًا: الاستعاذة عند الوسوسة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينتهِ**»[٣].

ثالثًا: الاستعاذة في الصلاة لدفع الوسوسة:

عن أبي العلاء؛ أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٢) «إغاثة اللهفان» (١١٩- ١٢٢) باختصار في بعض المواطن.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) (٢١٤).

الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يُلبسها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يُقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً**». قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني»(١).

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثًا.

ومعنى «**يلبسها**» أي: يخلطها ويشككني فيها.

ومعنى: «**حال بيني وبينها**» أي: نكدني فيها، ومنعني لذتها والفراغ للخشوع فيها»(٢).

رابعًا: الاستعاذة عند الغضب:

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: «استب رجلان عند النبي ﷺ، فغضب أحدهما، فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها؛ لذهب عنه الذي يجد**»، فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ، وقال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: أترى بي بأس؟ أمجنون أنا؟ اذهب»(٣).

خامسًا: الاستعاذة إذا رأى في نومه ما يكره:

وقد تقدمت الأحاديث في ذلك في باب «الشيطان ونوم الإنسان».

سادسًا: الاستعاذة عند دخول الخلاء:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٩٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٤٨)، (٣٢٨٢)، (٦١١٥)، ومسلم(٢٦١٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

قوله: «إذا دخل» أي: إذا أراد أن يدخل.

قوله: «الخبث والخبائث» أي: ذكران الشياطين وإناثهم[١].

سابعًا: الاستعاذة عند الحلف بغير الله:

عن سعد بن أبي وقاص قال: «حلفت باللات والعُزى فقال لي أصحابي: بئس ما قلت. قلت: هجرًا، فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له فقال: «**قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وانفث عن يسارك ثلاثًا، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تُعد**»[٢].

ثامنًا: الاستعاذة عند دخول المسجد:

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور، حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له: بلغني أنك حدثت عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**». قال: أقط؟ قلت: نعم. قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم»[٣].

تاسعًا: الاستعاذة في الصباح والمساء:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي ﷺ: أخبرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: «**قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض،**

---

(١) انظر «الفتح» (٢٩٣/١).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٨٣، ١٨٦)، والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٨)، وفي «الكبرى» (١٠٨٢٦، ١٠٨٢٧)، وابن ماجه (٢٠٩٧)، وأبو يعلى (٧١٩، ٧٣٦)، كلهم من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن مصعب بن سعد به.

وقد صرَّح أبو إسحاق بالتحديث عند النسائي في «المجتبى»، وفي «الكبرى» (١٠٨٢٦).

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٦٦).

رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه. قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»(١).

عاشرًا: الاستعاذة عند سماع نهيق الحمار أو نباح الكلاب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمر بالليل، فتعوذوا بالله، فإنهن يرين ما لا ترون**»(٣).

الحادي عشر: تعويذ الولد والذرية بالله من الشيطان الرجيم:

قال تعالى - مُخبرًا عن أم مريم -: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام، فاستجاب الله لها ذلك»(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود يولد إلا مسَّه**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٩، ١٠)، (٢/ ٢٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٢، ١٢٠٣)، والدارمي (٢/ ٢٩٢)، كلهم من طريق أبي هريرة به.
وأخرجه أحمد (٢/ ١٩٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٤)، والترمذي (٣٥٢٩)، من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعًا به، وإسناده حسن.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٦)، وعبد بن حميد (١١٥٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٤)، وأبو داود (٥١٠٣)، واللفظ له، وأبو يعلى (٢٢٢١)، وابن حبان (٥٥١٨).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣١٠).

الشيطان حين يُولد، فيستهل صارخًا عن مسه إياه إلا مريم وابنها»، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»[(٢)].

الثاني عشر: الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقد تقدم الكلام على «النزغ» في باب: دعوة الشيطان الناس إلى النار.

قال القرطبي رحمه الله: «وقد حُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنع من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك»[(٣)].

قال أبو السعود: «وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره، وتنبيه على أنه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته ﷻ»[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله: «أمر بدفع شر الجاهلين بالإعراض عنهم، ثم أمر بدفع شر الشيطان بالاستعاذة منه فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٧١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٣٤٨).
(٤) «محاسن التأويل» (٧/ ٢٩٣١).

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»[١].

الثالث عشر: الاستعاذة بالله من همزات الشياطين:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمره أن يستعيذ من نوعي شر إصابتهم بالهمز وقربهم ودنوهم منه، فتضمنت الاستعاذة أن لا يمسوه ولا يقربوه، وذكر ذلك سبحانه عقيب قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦]، فأمره أن يحترز من شر شياطين الإنس بدفع إساءتهم إليه بالتي هي أحسن، وأن يدفع شر شياطين الجن بالاستعاذة منهم»[٢].

٤- الأذان:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان له ضُراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قُضي النداء أقبل حتى إذا ثُوب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى**»[٣].

وعن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة، ذهب حتى يكون مكان الروحاء**».

قال سليمان: فسألته عن الروحاء؟ فقال: «**هي من المدينة ستة وثلاثون ميلاً**»[٤].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث دليل على فضل الأذان، وأنه يطرد الشيطان حتى

(١) «بدائع التفسير» (٢/ ٣٢١) نقلًا عن «إغاثة اللهفان».

(٢) «بدائع التفسير» (٣/ ٢٣٦- ٢٣٧) نقلًا عن «إغاثة اللهفان».

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٨٨).

يدبر عنده وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين»[١].

٥- الذكر عند الجماع:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك، لم يضره شيطان أبداً**»[٢].

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»: «واختلف في الضرر المنفي بعد الاتفاق على ما نقل عياض على عدم الحمل على العموم في أنواع الضرر، وإن كان ظاهرًا في الحمل على عموم الأحوال من صيغة النفي مع التأبيد، وكان سبب ذلك ما تقدم في بدء الخلق: «**إن كل بني آدم يطعن الشيطان في بطنه حين يولد إلا من استثنى**»، فإن في هذا الطعن نوع ضرر في الجملة، مع أن ذلك سبب صراخه.

ثم اختلفوا فقيل:

المعنى: لم يسلط عليه من أجل بركة التسمية، بل يكون من جملة العباد الذين قيل فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾.

وقيل: المراد لم يصرعه.

وقيل: لم يضره في بدنه.

وقال ابن دقيق العيد: يُحتمل أن لا يضره في دينه أيضًا، ولكن يبعده انتفاء العصمة، وتعقب بأن اختصاص من خص بالعصمة بطريق الوجوب لا بطريق الجواز، فلا مانع أن يوجد من لا يصدر منه معصية عمدًا وإن لم يكن ذلك واجبًا له.

وقال الداودي: معنى: «**لم يضره**» أي: لم يفتنه عن دينه إلى الكفر، وليس المراد عصمته من المعصية.

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٣/ ٤٢٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤).

وقيل: لم يضره بمشاركة أبيه في جماع أمه»(١).

٦- إغلاق الأبواب:

٧- وإيكاء الأسقية وتخمير الآنية:

٨- وإطفاء السرج:

٩- ومنع إرسال الفواشي والصبيان عند المساء:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان جُنح الليل أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مُغلقاً**»(٢).

وفي رواية: «**خمروا الآنية، وأوكئوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، اكفتوا صبيانكم عند المساء، فإن للجن انتشارًا وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت**».

قال ابن جريج وحبيب عن عطاء: «**فإن للشياطين**»(٣).

وفي رواية: «**غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا، ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم**»(٤).

---

(١) (٩/ ١٣٧) باختصار.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٠٤)، ومسلم (٢٠١٢) [٩٧].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣١٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠١٢).

وفي رواية: «**لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، فإن الشياطين تبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء**»(١).

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح»(٢):

«قوله: «**خمروا الآنية**» أي: غطوها.

قوله: «**وأوكئوا**» أي: اربطوها وشدوها.

قوله: «**وأجيفوا**» أي: أغلقوها.

قوله: «**وأكفئوا**» أي: ضموهم إليكم، والمعنى: امنعوهم من الحركة في ذلك الوقت.

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا، فأمر ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله ﷻ هذه الأسباب أسبابًا للسلامة من إيذائه، فلا يقدر على كشف إناء، ولا حل سقاء، ولا فتح باب، ولا إيذاء صبي أو غيره إذا وجدت هذه الأسباب»(٣).

قوله: «**لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء**».

قال أهل اللغة: الفواشي: كل منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها، وهي جمع فاشية؛ لأنها تفشو أي: تنتشر في الأرض.

«**وفحمة العشاء**»: ظلمتها وسوادها»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠١٣).

(٢) (٦/ ٤١٠) باختصار.

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٨٥).

(٤) المصدر السابق (١٣/ ١٨٦).

١٠- رد التثاؤب:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال: هاء، ضحك منه الشيطان**»[١].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح»: «قال ابن بطال: إضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة، أي: أن الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائباً؛ لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه، لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب.

وقال ابن العربي: قد بينا أن كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان لأنه واسطته، وأن كل فعل حسن نسبه الشرع إلى الملك؛ لأنه واسطته.

قال: والتثاؤب من الامتلاء وينشأ عنه التكاسل وذلك بواسطة الشيطان، والعطاس من تقليل الغذاء، وينشأ عنه النشاط وذلك بواسطة الملك.

وقال النووي: أضيف التثاؤب إلى الشيطان؛ لأنه يدعو إلى الشهوات إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك، وهو التوسع في المأكل»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تثاوب أحدكم، فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل**»[٣].

١١- التسمية على الطعام:

عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تدفع،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٦٢٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٩٥).

فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيده! إن يده في يدي مع يدها**»(١).

١٢- قراءة سورة البقرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(٢).

١٣- قراءة آخر آيتين من سورة البقرة:

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، فأنزل منه آيتين، فختم بهما سورة البقرة، فلا تقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان**»(٣).

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلة كفتاه**»(٤).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»: «قوله: «**كفتاه**» أي: أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن، وقيل: أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقًا سواء كان داخل الصلاة أم خارجها.

وقيل: معناه: أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال أجمالًا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠١٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٣) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٤)، والدارمي (٢/ ٤٤٩)، والترمذي (٢٨٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٠٣)، وابن حبان (٧٨٢)، كلهم من طرق عن حماد بن سلمة عن الأشعث بن عبد الرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن النعمان بن بشير مرفوعًا به. وهذا إسناد حسن من أجل الأشعث.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

وقيل: معناه: كفتاه كل سوء.

وقيل: كفتاه شر الشيطان.

وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن.

وقيل: معناه: كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «يجوز أن يراد جميع ما تقدم والله أعلم»[١].

١٤- قراءة آية الكرسي عند النوم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**وكلني رسول الله** ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام...» الحديث، وفيه:

«فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله. قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرآ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لم يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟**» قال: لا. قال: «**ذاك شيطان**»[٢].

١٥- ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**»[٣].

---

(١) (٨/ ٦٧٣).

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠١٨).

١٦- ومنها:

ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**»[١].

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال غدوة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. عشر مرات كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، وكُن له بقدر عشر رقاب، وأجاره الله من الشيطان، ومن قالها عشية، كان له مثل ذلك**». لفظ النسائي[٢].

١٧- ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ:

عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٠)، والطبراني (٣٨٨٣) من طريق إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان عن أبي رهم السمعي عن أبي أيوب به.

وصفوان بن عمرو الراوي عنه إسماعيل شامي فالإسناد حسن.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٨٥٢)، والطبراني (٤٠٩٣) من طريق الليث بن سعد عن سليمان ابن عبد الرحمن عن القاسم عن أبي أيوب به.

وفي إسناده القاسم مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، قال فيه البخاري: روى عنه سليمان بن عبد الرحمن أحاديث مقاربة، وقال أبو حاتم: حديث الثقات عنه مستقيم لا بأس به، وإنما ينكر عنه الضعفاء.

وقال فيه الحافظ في «التقريب»: صدوق يغرب.

يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يُخسف بي أو أُعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن....» الحديث وفيه:

«وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»(١).



(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)، وابن خزيمة (٩٣٠)، (١٨٩٥)، والطيالسي (١٢٥٧)، وأبو يعلى (١٥٧١)، وابن حبان (٦٢٣٣)، والطبراني (٣٤٣٠)، والحاكم (١/ ٢٣٦).

باب: لا تكن عون الشيطان

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب قال: «**اضربوه**». قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله. قال: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان**»[(١)].

وفي رواية: «أتى النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**»[(٢)].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح»: «ووجه عونهم الشيطان بذلك: أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي، فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان»[(٣)].



(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٧٧).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٨١).
(٣) (١٢/ ٦٨).

باب: تصفيد الشياطين في رمضان

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل رمضان فُتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين**»(١).

وفي رواية: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**»(٢)(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) [٢].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٧٩).

(٣) **تنبيه:**

هذا الحديث أخرجه الشيخان - البخاري ومسلم - وغيرهما من طرق عن ابن أبي أنس عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به، وكل الطرق فيها أن الذي يُصفد عموم الشياطين، دون تخصيص مردة الشياطين كما جاء في بعض الطرق عن أبي هريرة وغيره، كما سيأتي.

وهذه اللفظة لا تكاد تثبت، وها هو بيان الطرق التي جاءت فيها هذه اللفظة.

أخرج النسائي (٤/ ١٢٩) من طريق بشر بن هلال عن عبد الوارث عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك فرض الله** ﷻ عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين...».

وهذا إسناد ضعيف للانقطاع بين أبي قلابة وأبي هريرة.

وأخرج الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وابن خزيمة (١٨٨٣)، وابن حبان (٣٤٣٥) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء بن كريب عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن...**».

قال الترمذي: حديث أبي هريرة الذي رواه أبو بكر بن عياش حديث غريب لا نعرفه من رواية أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، إلا من حديث أبي بكر.

قال: وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث؟ فقال: حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مجاهد قوله: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان**»... فذكر الحديث. =

باب: خذلان الشيطان للإنسان

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه»(١).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول: مسلمًا لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا مُنجيه»(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخذل: الترك من الإعانة، ومنه خذلان إبليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك، فلما رأى الملائكة تبرأ منهم، وكل من صد عن سبيل

= قال محمد: وهذا أصح عندي من حديث أبي بكر بن عياش.

قلت: والقول كما قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، فأبو الأحوص أوثق بكثير وأثبت من أبي بكر بن عياش.

وأخرج الإمام أحمد (٤/ ٣١٢)، والنسائي (٤/ ١٣٠) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن عطاء بن السائب عن عرفجة بن عبد الله الثقفي قال: كنت في بيت فيه عتبة بن فرقد، فأردت أن أحدث بحديث قال: فكان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ كأنه أولى بالحديث منه قال: فحدث الرجل عن النبي ﷺ أنه قال: «**في رمضان تُفتح أبواب السماء، وتُغلق أبواب النار، ويصفد فيه كل شيطان مريد...**».

وعرفجة هذا، ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال العجلي: تابعي ثقة، وقال ابن القطان: مجهول.

وقال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول أي: إن توبع وإلا فلين.

فالحاصل: أن لفظة: «**مردة الشياطين**» لم تأت من طريق صحيح ثابت مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٧٣).

(٢) «جامع البيان» (٩/ ٣٨٥).

الله وأطيع في معصية الله فهو شيطان للإنسان، خذولًا عند نزول العذاب والبلاء»[١].

قال الزمخشري: «والشيطان إشارة إلى خليله، سماه شيطانا؛ لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة أو أراد إبليس وأنه هو الذي حمله على مخالفة المضل ومخالفة الرسول، ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والإنس.

ويحتمل أن يكون ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله»[٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ : «﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ الأظهر أنه من كلام الله، وليس من كلام الكافر النادم يوم القيامة، والخذول: صيغة مبالغة، والعرب تقول: خذله إذا ترك نصره مع كونه يترقب النصر منه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾»[٣].

وقال رَحِمَهُ اللهُ : «ومن الآيات الدالة على أن الشيطان يخذل الإنسان قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾»[٤].

قلت: ومن الآيات الدالة على خذل الشيطان للإنسان أيضاً: قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر: ١٦].

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٦).

(٢) «الكشاف» (٣/ ٩٠).

(٣) «أضواء البيان» (٦/ ٣١٥- ٣١٦).

(٤) نفس المصدر السابق.

فصل: خذلان الشيطان للمشركين يوم بدر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسَّنَ لهم – لعنه الله – ما جاءوا له وما هموا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر، فقال: «﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾، وذلك أنه تبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: رجع القهقرى على قفاه هاربًا.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني: أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددًا للمؤمنين، والمشركون لا يرونهم.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾: إني أخاف عقاب الله، وكذب عدو الله»[٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ قيل: خاف إبليس أن يكون يوم بدر اليوم الذي أنظر إليه. وقيل: كذب إبليس في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، ولكن علم أنه لا قوة له»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٧٥).
(٢) «جامع البيان» (٦/ ٢٦٥- ٢٦٦).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٧).

باب: خطبة إبليس في النار لأتباعه

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس - لعنه الله - يومئذ خطيبًا ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم، وغبنًا إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: على ألسنة رسله، ووعدكم في إتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعدًا حقًا وخبرًا صدقًا، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: ما كان لي دليل فيما دعوتكم إليه، ولا حجة فيما وعدتكم به.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به، فخالفتموهم، فصرتم إلى ما أنتم فيه.

﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ اليوم.

﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ فإن الذنب لكم؛ لكونكم خالفتم الحجج، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ أي: بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ﴾.

قال ابن جرير: يقول: إني جحدت أن أكون شريكًا لله ﷻ، وهذا الذي قاله هو الراجح، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾.

وقال: ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من لطف الله بعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان، وأخبرهم بمداخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بيَّن لنا أنه إذا دخل النار هو وجنده، أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم»[(٢)].



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٥٧).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٧٩).

فهرس الموضوعات

